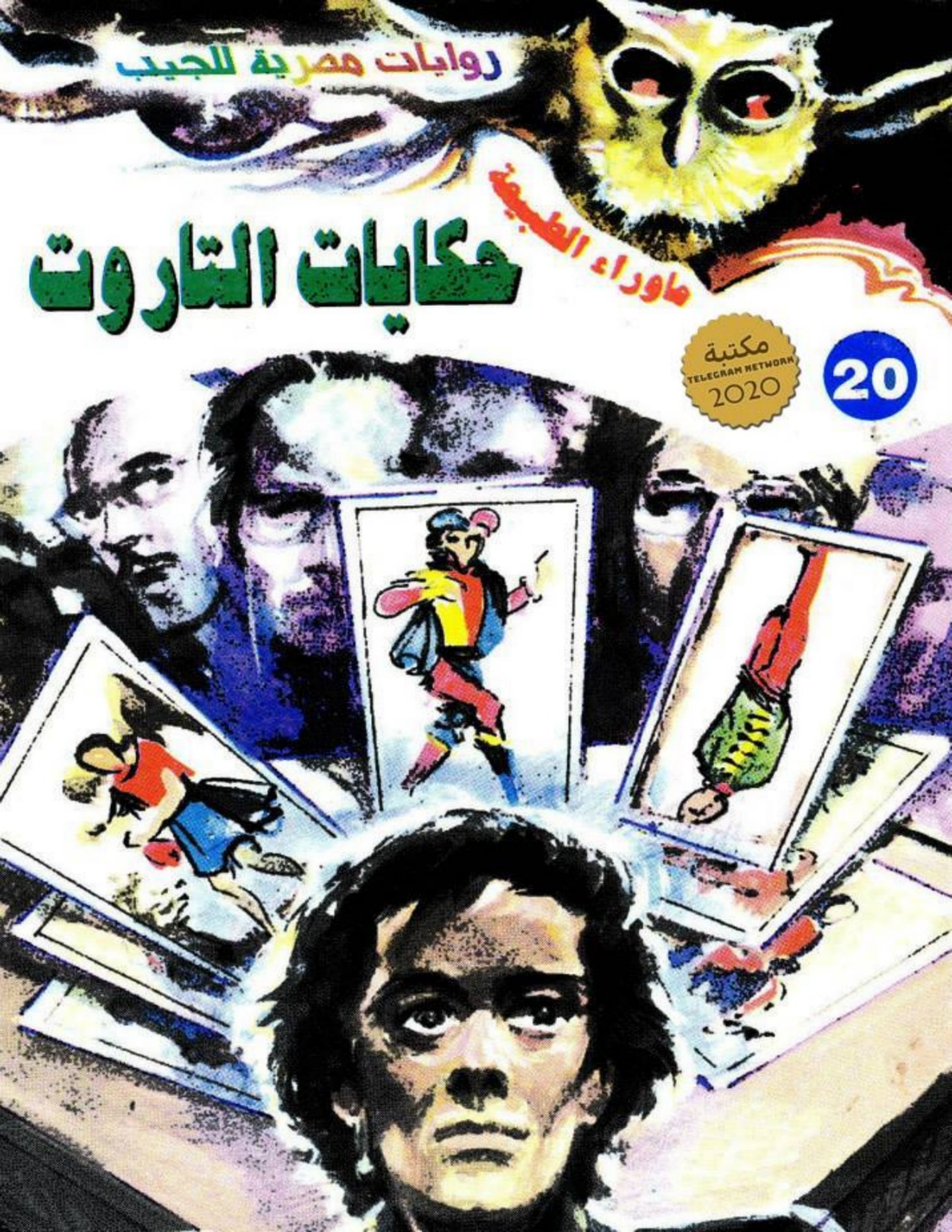

روايات مصرية للجيب
ماوراء الطبيعة
حكايات التاروت
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020
20


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

٢٠

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

حكايات التاروت

روايات مصرية للجيب

●

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو
الاقتباس

●

بريشة
الأستاذ/إسماعيل دياب

●

إشراف
الأستاذ/ حمدي مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة – المطابع ١٠،٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية – منافذ البيع ١٦،١٠ شارع كامل صدقي الفجالة– ٤ شارع الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة – القاهرة ت ٢٨٣٥٥٥٤– ٥٩٠٨٤٥٥– ٢٥٨٦١٩٧ فاكس – 202/2596650 ج.م.ع.
4 شارع بدوي / محرم بك – الإسكندرية

مقدمة

تحية لكم...

الدكتور (رفعت إسماعيل) الشيخ الثرثار الذي لا يكف عن انتظار الموت، قد عاد ليصدع رءوسكم بالمزيد من الحكايات المفزعة، الحكايات التي أفني عمره كله بينها..

نعم.. لم يمنعني هذا من أن أحب أحيانًا.. أصغى للحن حالم أحيانًا.. أقتطف زهرة رقيقة أحيانًا.. أرسم الشمس إبان الغروب أحيانًا..

لكني - أعترف - لم أحظ قط بسعادة خالصة، وكانت فكرة زوال السعادة

تنغص علي كل شيء..، حتى والزهرة في يدي كنت أتخيل ذبولها..، وحتى وحبيبتي معي كنت أتصورها محمولة إلى القبر أو إلى دار رجل آخر سواي..

متشائم..؟.. كذا يقولون..

مريض؟.. ربما..

لا أطلب تفسيرات نفسية من أي نوع.. كل ماهناك هو أنني أستمتع بصحبتكم حقًا.. ولسوف أحكي لكم قصة لا بأس بها هذه الليلة.. فدعونا من التحليلات..

لقد أحببتم حلقة الرعب.. واليوم أقدم لكم حلقة الرعب الثانية، وهي - كالعادة - حشد من القصص القصيرة مربوطة في نسيج قصة واحدة كبيرة..

وقد حدثت هذه الأحداث عام ١٩٦٨ بينما شيخكم (رفعت) في سن الرابعة والأربعين..

هلموا اتخذوا مقاعدكم..

إن د. (رفعت إسماعيل) سيحكى لكم حلقة رعب جديدة..

* * *

حكايات التاروت

لم أكن قد غادرت الولايات المتحدة بعد..

كنت أمضي أيامي مع صديقي المحامي الأمريكي (جيري) بعد تلك التجربة النفسية المروعة التي عشتها مع قصص (إدجار آلان بو).. والتي لم أفهم قط هل كانت هلوسة شديدة، أم هي تجربة روحانية نادرة الطراز..

وطبعًا - أنت تلاحظ أنه لم يأت بعد - لحق بي صديقي العتيد (هاري شيلدون) خبير الكمبيوتر الشاب قادمًا من (فلوريدا).. فمن الصعب أن أمر على الولايات المتحدة مر الكرام دون أن ألقاه..

وحتى هذه اللحظة لست واثقًا من هو النحس الحقيقي.. أنا أم هو.. فما إن يظهر الأخ (هاري) حتى يتحرش بنا (الزومبي) وتلاحقنا لعنة (شاكال) اللعين.. وكل مسوخ الأرض..

كان مرحًا كعهدي به، وأمضينا أيامًا لا بأس بها نسترجع الذكريات التي قل أن تكون لدى واحد آخر سوانا..

عرف حكايتي مع النبات القاتل والكاهن الأخير و (براكسا) حسناء المقبرة.. على أن أشد ما أثار اهتمامه هو قصتي مع (إدجار آلان بو)، خاصة حين عرف أنني عشت تفاصيل قصص لا أذكر أنني قرأتها قط..

وبمراجعة مجمع أعمال الأديب الأمريكي العظيم استطاع أن يجد كل ما تكلمت عنه..، لقد استطاع (بو) أن يقودني إلى عالمه الخاص لا مراء في هذا..

وطلب مني (هاري) أن أصحبه ليلقى ذلك الدجال (سام كولبي)، فهو يثير شغفه حقًا..

وفي ليلة صيف باسمة ركبنا إحدى سيارات أجرة (نيويورك) الصفراء المجنونة قاصدين بيت الرجل..

استقبلنا الرجل بملامحه الودود الطفولية التي مازالت تثير الهلع في قلبي، فأشرق وجهه حين رآني ودعاني إلى الداخل متحمسًا.. صحيح أننا جئنا

على غير ميعاد، لكنني صرت شخصًا عظيم الأهمية يستحق أن يفتح له صالة كبار الزوار لو أن عنده واحدة..

قمت بتعريفه بصديقي (هاري) وأخبرته أن (جيري) غارق في الأعمال فلم يستطع المجيء.. ثم دخلنا المنزل الكئيب.. كان كما هو لم يتغير بعد... وعلى المائدة المستديرة كانت هناك علبتان من الطعام المحفوظ وطبق وقدح من الشوكولاتة يتصاعد منه الدخان..

في حماس ذهب الرجل القميء إلى رزمة من المجلات في ركن الغرفة، فأخرج منها واحدة وفتحها على صفحة معينة وطواها وهرع نحوي ليريني إياها..

كانت هناك صورة فوتوغرافية لذلك الإقرار الذي كتبته له بخطي، وعنوان المقالة الرنان يقول: طبيب يعترف بمبدأ التناسخ - (كولبي) يصف تجربته الخاصة..

استشطت غضبًا.. وقلت من بين أسناني:

- لكني لم أقر مبدأ التناسخ لحظة.. إن ما كتبته يقول إنني عشت تجربة غير عادية لا أدري كنهها...

تساءل (هاري) وهو يتأمل غلاف المجلة:

- مجلة (ماجيك)؟.. ياللطباعة الرديئة!.. واضح أنها لا تلقى رواجًا كبيرًا.. وأنت يا (رفعت).. كيف سمحت لنفسك أن تنخرط في هذا الهراء؟

قلت وقد احمرت أذناي:

- لم أنخرط فيه.. لكنها شهادة حق سمحت لنفسي أن أقولها.. وما كنت لأقول سوى ما رأيت وعرفت..

هتف (كولبي) في حماس:

- لقد أحدث المقال دويًا في أوساط المهتمين بالروحانيات ونشر مرتين.. وسر نجاحه يعود لأن موضوع التجربة هذه المرة ليس معتوهًا ضعيف الإرادة.. بل هو رجل مثقف ناضج يسره بالتأكيد أن يثبت أنني نصاب!

- أنت كذلك! - قلتها وأنا أعيد له المجلة - وأعتقد أن كل شيء غريب، رأيته لم يكن لك فضل فيه.. لقد كدت تقتلني بتجربتك

المخبولة تلك.. لكن لتقل إنك كنت إشارة البدء التي نقلتني إلى عالم لا يصدق..

هتف غير مبال بالإهانة:

- إنه المجد!.. أنت نقلتني إلى عالم لا يصدق من الشهرة والاحترام العلمي.. واليوم أنا مدعو إلى (نادي السحر) باعتباري ضيف شرف.. والفضل لك..

غمغم (هاري) وهو يجلس على أحد المقاعد واضعًا يديه في جيبه:

- نادي السحر؟.. اسم غريب!.. وهل هذا النادي يقدم لضيوفه حساء أجنحة الخفافيش في جماجم بشرية؟ وهل تتسلون هناك بذبح الأطفال الرضع؟

أطلق (كولبي) صرخة احتجاج.. وهتف:

- لا تكن سخيفًا يا مستر (شيلدون).. إن هذه الفكرة الصبيانية عن السحر لا تليق بك بل بقراء القصص المصورة..
- في رأيي أن القصص المصورة أكثر احترامًا.. فأنا خبير (كمبيوتر) يا سيد (كولبي).. ولا أتعامل إلا مع الحقائق الملموسة والمقدمات التي تقود إلى نتائج.. ولو أنني فتحت ذاكرة (الكمبيوتر) اليوم ووجدت برنامجًا لم يكتبه أحد فإنني لعلى استعداد أن أومن بسحرك هذا..
اتسعت عينا (كولبي) وفيهما ارتسمت نظرة حالمة، أقسم إن الرقة الرومانسية غزت سمنته الكريهة..
قال في افتتان:

- لا يهمني رأيك كثيراً برغم احترامي له.. اليوم يجلس سحرة الولايات المتحدة يستمعون لي وأنا أتكلم.. وهذا هو كل ما أبغى من الكون..

قلت وأنا أشعل لفافة تبغ وأتخذ مقعدًا:

- كنت أظن السحر والروحانيات موضوعين منفصلين..

- إن السحر هو...

ثم تقلص وجهه ألمًا.. وهتف:

- معذرة.. الحمام.. إنها (البروستاتا) كما تعلمان..

وغادرنا مسرعًا كعادته، فنظر إلي (هاري) مندهشًا ولسان حاله يقول:

- ماذا دها هذا الرجل؟

قلت له بلا مبالاة:

- لا عليك.. إن (بروستاتا) هذا الرجل صارت موضوع الساعة بالنسبة لمن يزوره أو يحاول فهم حرف من كلامه..

بعد ثوان عاد الرجل من الحمام وقد بدت عليه معالم الارتياح.. وقال وهو يجرع ما بقي في القدح من (شوكولاتة).

- كنت أقول إن السحر والروحانيات وعلم (الباراسيكولوجي) كلها مسميات توضع في خزانة واحدة هي (الميتافيزيكس) أو علوم ما وراء الطبيعة.. نحن في هذا المجال أبناء عمومة.. ونحن نلتقي في بيت الأسرة الكبير المسمى (نادي السحر) من حين لآخر ليلقي كل منا محاضرة عما عرفه أخيراً في هذا المجال..

ثم التمعت عيناه.. ببريق مجنون.. وهتف:

- هل تحبان أن تحضرا أحد هذه الاجتماعات؟

قلت له وأنا أتأمل السمكتين تسبحان في حوضهما غير عابئتين بشيء من هذا الهراء:

- بلى.. لكنني كنت أحسب هذه الاجتماعات مقصورة على الصفوة.. أعني أنه يجب أن تكون معك بطاقة تعريف أو تحمل معك قبعة فيها أرنب أو شيئًا من هذا القبيل..

- لا شيء من هذا..! - قال وهو يطوح رأسه يمينًا ويسارًا:

- المهم أن تترك معتقداتك البالية في دارك لا أكثر ولا أقل..
- من الممكن أن أفعل هذا..
نظر إلى الساعة على الحائط.. وقارنها بساعة جيب عتيقة أخرجها من صدار بذلته.. ثم قال:
- ليكن.. إن الحفل يبدأ بعد نصف ساعة.. فاستعدا لكي نذهب.. نصيحة يا مستر (شيلدون).. أتوسل إليك أن تتجاهل طريقتك العدائية الهجومية بعض الوقت إن هناك من لا يحبون هذا ممن نحن ذاهبون إليهم... احتفظ لنفسك بعقليتك الجدلية النقدية بعض الوقت وأعدك أن تعرف أكثر..

* * *

كان اللقاء في شقة فاخرة في حي (بارك أفينيو).

مجموعة من الخدم الذين يرتدون زيًا موحدًا يهرعون هنا وهناك حاملين أقداح الشراب.. وفي صدر القاعة مائدة هائلة عليها وعاء ضخم مزركش يحوي شرابًا ينقلونه إلى الأقداح بمغرفة كبيرة - مثلما يفعلون في حفلات الكوكتيل - جوار عشرات الأصناف التي يستحيل أن تعرف كنهها بالضبط..

ثمة شيء شبيه بديناصور مذبوح جواره شوكة وسكين - عرفت فيما بعد أنه ديك رومي عملاق - وأطباق ملأى بأشياء

يمكن أن تكون عيونًا مقلوعة أو صراصير محمرة أو أنوفًا بالصلصة..

لن أفهم أسلوب الطهى الأمريكي أبدًا... وعليك - أنا لن أفعل هذا ما حييت - أن تنتقل إلى طبقك عدة أصناف من هذه الأشياء المرعبة لتلتهمها بلذة في المكان الذي اخترته لنفسك..

ناديت (هاري) وطلبت منه أن ينتقى لي شيئًا آكله.. شيئًا ليس مخنوقًا ولا موقوذًا، ولم يطبخ بالخمر، ولا يحوي لحم الخنزير، ولا يحوي تعويذة سحرية ما، ولا يثير منظره الذعر في قلبي!

نظر لي في حيرة:

- المهمة عسيرة.. فأنا نفسي أجد صعوبة في انتقاء شيء مأمون..

ثم أشرق وجهه بابتسامة عذبة وقال:
- لحظة!.. وجدت لك الحل السعيد!
ومد يده ونقل إلى طبقي عودين من الكرفس..!

* * *

بفم مليء بالكرفس شرعت أتأمل المكان..
كانت الموسيقا العذبة - المصنف العاشر لأحدهم - تنبعث من لا مكان.. كأنما هي الكل الذي نحن فيه، حيلة بارعة كما ترى.. ولابد أن السماعات مدفونة في مكان ما تحت أقدامنا..، حتى الإضاءة ذاتها تأتي من لا مكان.. الجدران ذاتها

تضيء بلون أزرق خافت يبعث الانتعاش في روحك..

في البدء شعرت بالخجل لأنني الوحيد الذي لا يرتدى (الفراك) في هذا الحفل المنشّى (بالمناسبة، أرجو أن يفتيني أحدكم عن كنه الفراك بالضبط حتى أشتري لنفسي واحدًا في الحفلات القادمة).

ثم بدأ خجلي ينزاح حين رأيت شبانًا يرتدون (الجينز)، ورجالًا يرتدون بذلات أقل ما يقال عنها إنها أسوأ من بذلتي..

لقد كان طابع هذا الحفل هو البساطة والبذخ.. البساطة في التقاليد.. والبذخ في الإمكانيات..

وحتى هذه اللحظة لا يوجد شيء غير عادي..

كانت هناك فتيات ترتدين ثياب السهرة ويرحن هنا وهناك متظاهرات بالمرح والانطلاق، وكان هناك رجال واضح أنهم بلغوا الذروة في الثراء أو على المناصب.. يحيط بهم - إذ وقفوا معتدين بأنفسهم - رجال ونساء يتظاهرون بالاهتمام المتصوف بما يقال.. كأن ثراء الإنسان يكفي لجعله أحكم الحكماء..

الخلاصة أنه جو مقيت..

وأنا يا رفاق خفاش آدمي.. أهوى الظلام والوحدة وأمقت الأضواء والناس، وسر حبي الوحيد للحفلات هو أنني أكل فيها كالحيتان.. لذلك لا تتوقعوا مني أن

أحب هذا الحفل الذي لم أظفر فيه سوى بعودين من الكرفس..

ولكن أين (هاري) وسط هذه الفوضى؟

آه!.. هو ذا واقف يتحدث مع شقراء لا ترتدي شيئًا تقريبًا..

كنت أظن أن هذه الأساليب المراهقة بعيدة عن رجل متزوج من امرأة حسناء تحبه.. لكنني كنت مخطئًا على ما أظن..

وأين (كولبي) في كل هذا؟

ها هوذا.. ضيف الشرف المرتقب للحفل.. إنه يمشي هنا وهناك بثيابه البالية يمازح هذا ويكلم ذاك.. لكن من الواضح أن أحدًا لا يعبأ به بتاتًا.. إنه مجرد رجل مضحك يثير الشفقة لا أكثر ولا أقل..

بالطبع كان يختفي من حين لآخر عن ناظري.. إنها البروستاتا كما تعلمون.. لو أن هناك جمعية لهواة التبول لصار هذا الرجل رئيسها الشرفي.. إنني أضمن له هذا على الأقل..

ولكن.. أين السحر وسط كل هذا؟..

إن هي إلا حفلة مرحة أخرى.. صحيح أنني لم أر مثلها إلا في السينما، لكنني أشعر بالملل وكأنني أفنيت عمري كله في حفلات مماثلة.. لهذا اتجهت بثقة إلى (البوفيه) المفتوح فملأت طبقي بالكرفس.. ثم اتجهت إلى أريكة وثيرة أمامها مائدة صغيرة.. فأرحت جسدي عليها وأشعلت لفافة تبغ، وأخذت أتسلى بإلقاء الرماد

على السجادة الفاخرة، وأراقب هؤلاء البلهاء..

❋ ❋ ❋

كانت عقارب الساعة تتجه نحو الحادية عشرة مساء..

حين ظهر رجل في العقد السادس من عمره.. متأنق.. أشيب الشعر.. يرتدي منظاراً معلقًا إلى صدره بسلسلة ذهبية..

ظهر هذا الرجل يشق طريقه بين زحام القوم المتمايلين والمتمايلات حتى وجد لنفسه موضع قدم.. ثم صاح بصوت جهوري معدني:

- هير هير[1]

فساد الصمت إلا من نغمات البيانو القادمة من لا مكان.

- يسرني - أنا رئيس رابطة سحرة (نيويورك) - أن أقدم لكم ضيف حفلنا الليلة..

نظرت بطرف عيني إلى (كولبي).. فوجدته وقد احتقن وجهه.. ولا شعوريًا شرع يحك حذاءه في ساق بنطاله ليزداد لمعانًا.. ثم يتقدم إلى الأمام.. إنها لحظته المنتظرة..

- إنه لرجل فذ.. وهو شرف مهنتنا بعطائه الذي لا يكل، وجهوده المخلصة من أجل علوم ما وراء الطبيعة..

ويتقدم (كولبي) عبر الصفوف يزيح هذه.. ويبعد هذا قاصدًا مركز الحلقة،

حيث وقف الرئيس يقول:
- أعرف أنكم لستم جميعًا من المهنة.. بعضكم ضيوف عليها.. وبعضكم لم يسمع عن هذا الرجل العظيم!.
وهنا كان (كولبي) قد وصل إلى الرئيس.. ومد يده نحوه..
- أرجوكم جميعًا أن تحيوا... الدكتور (لوسيفر)!!
وتعالى صوت التصفيق على حين شرع (كولبي) يدور بعينيه في بلاهة.. إذن لم يكن هو المقصود.. إذن..
شعرت برغبة عارمة في الضحك مازجتها الشفقة.. كلنا يعرف هذا الشعور المرير.. هو ذا (كولبي) ينسحب وقد بدا لي كأنما صار عاجزاً عن رفع

كتفيه لأعلى.. سقطتا إلى جانبه على شكل رقم (٨).. واحمرت أذناه أكثر فأكثر، على حين شرع الجمع - الذي لم يلحظ سوء التفاهم هذا - يردد الأغنية الشهيرة في حفلات التكريم:

"لأنه رجل لطيف طيب.. لأنه رجل لطيف طيب.. ولا أحد ينكر ذلك.."

وهنا لم أعد أنظر إلى (كولبي)..

تركزت عيناي على ذلك الرجل النحيل الذي يرتدي السواد والذي وقف يحيي الناس جوار الرئيس..

طويل القامة كان.. كل ما فيه أسود.. شعره.. ثيابه.. لون عينيه.. على عنقه قلادة ذهبية هائلة الحجم.. وفي أصابع يديه عدد من الخواتم الماسية يفوق

قدرتي على العد..، وكان هناك قرط يتدلى من أذنه اليمنى (ولم أكن قد رأيت من يرتدي القرط بين الرجال في ذلك الوقت)..

كان رهيبًا.. وأدركت أنه يستغل هذا الإيحاء خير استخدام.. لقد أدرك أن له طابعًا شيطانيًا لا تخطئه العين، لهذا استكمل هذا الطابع بانتقاء الثياب السوداء وتسمية نفسه بإسم (لوسيفر) الاسم اللاتيني للشيطان.. إسم معناه (أمير البهاء) لأن الكبرياء تقود إلى الهلاك..

شعرت بكراهية له من اللحظة الأولى، وتمنيت أن أرحل أنا و (هاري) الآن..

لكن شيئًا في أعماقي أمرني أن أنتظر وحتى يفرغ هذا المخبول من كلامه.. لابد أن أعرف الشيء الذي منحه كل هذا (البرستيج) بين أقرانه.. كل السحرة يخرجون أرنبًا من القبعة، فهل هو يخرج منها أفراس نهر؟!.. كل السحرة يشطرون المرأة إلى نصفين فهل هو يشطرها إلى ثلاثة؟!..



تركزت عيناى على ذلك الرجل النحيل الذى يرتدى السواد
والذى وقف يحيى الناس جوار الرئيس ..

على أنني كنت مخطئًا هنا حين خلطت بين السحر (الاستعراضي) الذي يؤدى على المسارح، والسحر الخفي الذي يمارس في غرف مغلقة..

فالنوع الأول معروف ودائمًا ما ينكشف عن ألعاب حواة تافهة.

أما النوع الثاني فلا أعرف عنه حرفًا...

رأيت هذا المدعي يرفع يده لتهدأ الجلبة.. ثم يقول:

- سرني هذا الترحيب!

كان صوته كمظهره.. أسود.. قاتمًا.. كئيبًا..، على أن له سحرًا مغناطيسيًا غامضًا يجعلك تود لو سمعت أكثر..، صوته كان أشبه بتلك النبرات الرتيبة

التي تخرج من حنجرة الببر القوية حين يغفو بعد أن التهم فريسته بالكامل..
- إنني أجد قلوبًا مخلصة ملأى بالحب في هذا المكان.
حب؟.. عم يتحدث هذا المعتوه؟.. لكنني لاحظت نبرة صوته واللهجة الأجنبية الواضحة في كلماته.. واضح أنه ليس أمريكيًا.. ربما هو من (أوروبا) الشرقية أو (روسيا) أو شيء من هذا القبيل..
كما لاحظت أنه في العقد الخامس من العمر مثلي..
- عودوا لمرحكم.. أما عني أنا فلسوف أجلس في صومعة الأحلام مع مستر (كلارتون) مضيفنا الكريم.. فمن أراد أن يلحق بي هناك فبه أسعد.. وله قلبي

يطرب.. أما الأخرون فهم سعداء من أجله.

واستدار ليتجه إلى حجرة جانبية ومعه رئيس الرابطة الذي عرفت الآن أنه صاحب الدار وأن اسمه (كلارتون).

لم يفتني كذلك أن ألاحظ الأسلوب الغريب الذي تكلم به على غرار (به أسعد) و (له قلبي يطرب) ليعطي كلماته طابعًا غريبًا يوشك أن يكون كنبوءات العرافين..

إن (كولبي) نموذج للنصاب الأبله.. أما (لوسيفر) فهو من طراز راق شديد البراعة.. إنه النصاب نجم المجتمعات.. ولن أدهش لو كان ثراؤه واسعًا كحيلته..

عاد الحفل إلى صخبه السابق... الضحكات الأنثوية تدوي.. والخدم

يروحون هنا وهناك...(هاري) يأتي إلي - لا أدري من أين - ليقول لي وهو يجرع كأسه:
- هل معك لفافة تبغ؟...
- أظن هذا.. حسبتك لا تدخن.
- أنا كذلك.. تلك الشقراء طلبت أن أقدم لها واحدة!
- عليك اللعنة!.. أنا أمقت هؤلاء الكرماء على حسابي.. خذ العلبة كلها ولكن أعدها لي..
قال وهو يدس العلبة في جيبه:
- ما رأيك في هذا الجو المسموم؟
- عرفنا ألعن منه مع سحرة (الفودو) في تلك الليلة.. هل نسيت؟

- وكيف أنسى؟.. قل لي.. لماذا لا نتبع هذا المخبول إلى صومعته كما قال؟...
- لا!..
- لكنك مولع بالتجارب الجديدة.. إن الفضول يقتلني.. لحظة يا صغيرتي!.. لقد أحضرت لك سجائرك..
وهنا دنا مني (سام كولبي).. قصيرًا تعسًا مبعثر الهندام.. وفي عينيه نظرة من يرجوني أن أنسى ما حدث.. قال لي:
- كذا ترى! - وتنهد - إنه لجو غير عادي!
- لا أرى شيئًا غير عادي.. مجرد حفل صاخب على درجة من التحرر..
- هذا لأنك لم تدخل الصومعة!
نظرت في عينيه البريئتين، فوجدت دعوة لا تحتاج إلى ترجمة.. إنه يتحرق شوقًا

كي يلحق بهذا الـ (لوسيفر) في اجتماعه الخاص.. وأنا حقًا لا أرغب في أن أرى هذا النصاب مرة أخرى.. أريد العودة إلى داري وآخذ حمامًا فالنوم.. أرجوك.. أريد أن آكل شيئًا عوضًا عن الكرفس...

وهنا رأيت (هاري) عائدًا لي حاملًا علبة التبغ وبحنق صاح:

- أنت وسجائرك!.. كالعادة تستعمل أرخص نوع من التبغ على الإطلاق.. لقد كادت الفتاة تموت بالالتهاب الرئوي بعد نفسين!

- لم أطلب منها أن تحب سجائري.

قال وهو يتأبط ذراعي وذراع (كولبي):

- والآن دعونا من هذا الهراء.. هلما بنا نر هذا النصاب!

رفعت يدي في احتجاج صامت، لكن (كولبي) هو الآخر كان متحمسًا ووجدت أنني - في الواقع - أدفع إلى الداخل دفعًا..

ماذا ستخسر - قالا لي - لو ألقيت نظرة؟.. لقد وعد الرجل أنه (بنا يسعد) و (لنا قلبه يطرب) لو منحناه هذه السعادة؟ ثم إنك لا تعرف (لوسيفر) إنه الرجل يسيطر على مفاتيح السحر كلها - والكلام لـ (كولبي)- وهو ليس نصابًا كأكثر العاملين بهذه المهنة القذرة.. وبمعنى أقرب إلى فهمكما..

- إنه لرجل يعرف ما يتكلم عنه!.

وهكذا سمحت لنفسي - هذه المرة فقط - أن أدخل صومعة الدكتور (لوسيفر)..

وكما تعرفون عني: كنت ماذا؟.. ساذجًا.. ساذجًا..

* * *

رائحة البخور هذه...

رائحة البخور تفوح بها الغرفة، الغرفة التي يسودها لون أخضر غريب، فلم أكن واثقًا هل هو انعكاس من الجدران، أم أن هناك مصدرًا للضوء الأخضر؟

الزخارف الشرقية تملأ المكان.. وثمة مبخرة من السقف، على حين تناثرت النوافذ (الأرابيسك) الموصدة في أرجاء القاعة..

حتى السجاد كان إيرانيًا سميكًا غاصت فيه أقدامنا حتى كاحلها.. لقد

حرص من أثث هذه الحجرة على افتعال طابع عربي من الذي يثير خيال الأمريكان.. حتى أنهم وضعوا زنجيًا عاري الجذع إلا من صدرية مذهبة جوار الباب الذي تغطيه الستائر ليوحوا للداخلين أن هذا عبد من عبيد ألف ليلة وليلة..

وكانت هناك جارية حسناء تحمل (الدلة) تطوف بها على الجالسين تملأ أقداحهم بشيء أعتقد أنه قهوة.

هذه هي الصومعة إذن، وسمعت صوت الببر يزأر:

- مرحبًا بك يا (كولبي) أنت ود. (رفعت) ومستر (شيلدون)!

ارتجفت لهذه البداية وكدت أؤمن أنها معجزة.. ثم تذكرت أن (كولبي) الثرثار بالتأكيد قد حكا للرجل كل شيء عنا..

كانوا جالسين على الأرض على طنافس عربية موشاة بالذهب.. حول ما يشبه (طبلية) صغيرة مسدسة الزوايا، كأنما خرجت من تحت يد أفضل صانعي (خان الخليلي)، لكنه دائمًا ذلك الجو الشرقي المفتعل الذي لا يجيد الغربيون محاكاته.. فهم لا يعرفون عنا سوى قصص ألف ليلة وليلة ولوحات (ديلاكروا)..

الضوء الأخضر الساطع يغلف الوجوه.. دنوت من المجلس واخترت إحدى الطنافس وتربعت عليها.. وجلس (هاري) إلى يميني و (كولبي) إلى يساري..

وشرعنا نتأمل الجالسين.. كانوا خمسة بالإضافة إلى (لوسيفر) والأخ (كلارتون).. وبعد دقائق دخلت الغرفة امرأتان فجلستا إلى المائدة معنا.. إحداهما شابة لا بأس بها والأخرى عجوز لابد أنها فقدت طفلها في حروب (الهكسوس)..

ظل الصمت هو السائد بضع دقائق..

لا نفعل شيئًا سوى أن نتبادل النظرات.. متى ينتهي هذا الهراء؟.. ثم إن (لوسيفر) بدأ يتكلم.. بصوت بطيء النبرات عميقها، يتكلم.. عن أي شيء بالضبط؟.. لا أدري في الواقع.. مجرد كلام فارغ لا أول له ولا أخر عن وحدة الكون والعقيدة (المانوية) والوصول إلى الحقيقة عن طريق فهم أنفسنا أكثر.. إلخ...

ملت على أذن (كولبي) هامسًا:

- هذا المخبول.. هل هو ساحر أم عراف أم مدعي نبوة من الذين تزخر بهم بلادكم، والذين في بلدي يحملونهم إلى أقرب مصحة عقلية حيث تتكفل بعض صدمات كهربية بشفائهم تمامًا؟!

- حنانيك.. لا تسخر منه إنه..

وهنا دوي صوت الببر:

- أنا عالم يا د. (رفعت)!.. لا أكثر ولا أقل!!

رفعت عيني نحوه فوجدته يرمقني بعينيه السوداوين الثابتتين.. ما أقواهما من عينين!.. كأنهما خلقتا للتنويم المغناطيسي.. وسمعته يقول وهو يرفع شيئًا ما في قبضته:

- هل سمعت عن أوراق (التاروت)؟
تأملت الأوراق التي يقبض عليها في قبضته.. بالطبع سمعت عنها وبالتأكيد أعرفها.. هل أنسى الأم (مارشا) في (جامايكا) ونبوءتها عن القلعة والتراب الأحمر؟.. أعرف هذه الأوراق برسومها المشؤومة، لكني لا أعرف شيئًا عن مغزاها ولا معناها..
قال د. (لوسيفر) وهو يجيل عينيه بين الجالسين:
- هناك من يؤكد أن كلمة (تاروت) مأخوذة من الكلمة الهيروغليفية (تاروش) ومعناها: الطريق الملكي.. ومن يؤكد أنها مأخوذة من كلمة (روتارو) اللاتينية ومعناها: الدائرة.. لقد حاول الكثيرون

معرفة متى وكيف نشأت هذه الأوراق لكن الجميع فشل في ذلك.

قال صاحب الدار (كلارتون) وهو يرفع منظاره إلى أنفه:

- في كتاب (العالم البدائي) يزعم مؤلفه (كورت) أن هذه الأوراق ظهرت في (أوروبا) في القرن الرابع عشر.. لكنها ظهرت في الشرق قبل ذلك بعهد سحيق.. ربما كانت تعود إلى عهد الفراعنة أنفسهم..

قال أحد الجالسين وهو رجل أسمر له وجه كئيب ممتقع:

- إن (ستيوارت كابلان) عاكف الآن على كتابة كتاب (أوراق التاروت) يتحدث فيه عن لغز هذه الأوراق[2].

دون كياسة تساءلت أنا عاجزاً عن الفهم:

- لا أفهم.. ما هي جدوى هذه الأوراق أصلًا؟.. أليست نوعًا من (فتح الكوتشينة) لا أكثر؟

تحركت العينان الثاقبتان نحوي.. وسمعت صوت الحشرجة:

- ليس الأمر بهذه البساطة.. لقد عكف الدكتور (يونج) تلميذ (فرويد) الشهير على دراستها ثم أعلن رأيه: إن (التاروت) هو أسلوب لتنمية الحدس واتباع منهج عملي يلائم وجود الإنسان في هذا الكون..، والعالم الإنجليزي (ليفي) يقول: إن (التاروت) يتيح لمن لم ير العالم قط أن

يمتلك المعرفة الكاملة بالكون ويتحدث في كل المواضيع ببراعة..

بالمناسبة.. أنت مصري يا د. (رفعت) وكان من واجبك أنت أن تحدثنا عن (التاروت) على حين نصغي لك.. إن (التاروت) في الغالب اختراع فرعوني قديم..

أضاف (كلارتون) في حماس موجهًا الكلام لي:

- يزعمون أن كهنة مصر دونوا فيها كل أسرار حضارتهم التي أحسوا بقرب اندثارها.. وكان ذلك في العام الألف قبل المسيح..

تساءلت الفتاة بصوت بدا التوتر يغزوه:

- وكيف وصل (التاروت) إلى أوروبا؟.

- وصل إلى (انجلترا) مع طوائف الغجر.. وصنع أول (تاروت) بها في عهد الملك (هنري الثامن)..
وهنا قطع (هاري) خيط الكلام ليتساءل:
- دعونا من تاريخ هذه الأوراق.. ما الذي تنتويه بالضبط؟
شاعت ابتسامة غامضة في وجه د. (لوسيفر) وشرع (يفنط) الأوراق دون أن ينظر إليها.. ثم أجاب:
- أنوي أن آخذكم إلى رحلة نادرة خارقة للعادة.. وأداتي هي (التاروت).. كان لابد لي من أن أخبركم بشيء عنه قبل أن أبدأ.. والآن من سيكون الأول؟!
ساد الصمت.. فملت على أذن (كولبي) هامسًا:

- من هو د. (لوسيفر) هذا؟
قال هامسًا دون أن يحول بصره عن المشهد:
- لا أحد يعرف.. يقولون إنه من (المجر) وإن اسمه (فرانتز لوسيفر).. وقد جاء إلى (الولايات) منذ ثلاثة شهور.. ويقال إنه أثار حيرة الجميع بما يصنعه بهذا (التاروت).. حتى أن مستر (كلارتون) الذي لم يعد شيء يبهره، قد استضافه عنده بصورة دائمة وأعد له هذه الغرفة خصيصًا..
- يسأل عن الأول.. الأول في ماذا بالضبط؟
- لا أدري.. ربما سيرينا بعض قدراته التنبؤية..

وببطء شديد دارت عينا الرجل الثاقبتان بين صفوفنا..

خطر لي في هذه اللحظة مدى سخف ملاحظتي حول العينين القويتين، فالعينان وحدهما غير قادرتين على التعبير عن شيء.. كل ما تملكانه هو أن تتسعا لتوحيا بالرعب أو تضيقا لتوحيا بالمكر، الحاجبان هما ما يعطي العينين تأثيرهما الكامل..، هما ما يعطي العينين إيحاء الطيبة والضعف، ويعطيانها إيحاء الحزن، ويعطيانها إيحاء الشر..

المخيف في هذا الـ (لوسيفر) أن عينيه لم يكن فوقهما سوى حاجبين مسطحين أفقيين لا ينمان عن شيء.. وهذا في حد ذاته يثير الرعب في قلبي..

صوت الببر الراضي عن شبعه يتردد:
- الحق أقول لكم إنني لواجد بينكم من يستحق شفقتي.. إن بينكم يا إخوان من لا يصدق.. فله الحسرة تغمرني، وبينكم من يسخر.. فمنه أشعر بالحنق، وبينكم من لا يبالي.. فإليه نصحي أن يعيرني أذنيه الفانيتين بعض الوقت.

شعرت بالتوتر.. فأنا أمتاز عن الآخرين بأنني قابل للدخول في كل هذه القوائم.. أنا بالفعل لا أصدق ولا أبالي وأسخر!.. وبالتالي أنا سببت للرجل الحسرة والحنق وواجبي أن أعيره أذني الفانيتين بعض الوقت!.

نظر لي د. (لوسيفر) نظرة باردة.. وجرع قدح القهوة الذي كان أمامه.. وأشار إلى

ما وراء كتفي..

- لا!

قلتها في إصرار، إذ رأيت الجارية آتية إلى حاملة (الدلة) لتصب لي بعض القهوة في فنجاني.. تلبية لإشارته..

والسبب معروف.. بعد تجربتي السابقة مع (كولبي) لا أجد لدي استعدادًا كي أشرب شيئًا ما قد يحوى عقار هلوسة، أو شيئًا مماثلًا..

أريد أن أكون بكامل قواي العقلية لأرى ما سيحدث.. إذا كان هناك ما سيحدث حقًا..

ثم إن د. (لوسيفر) واصل الكلام:

- إن لي أن أفترض أن من لحقوا بي يريدون أن يعوا المزيد عن غدهم.. وإنه

لما يثير دهشتي أن أرى – بالصدفة - هذا الحشد من ذوي المصائر المكفهرة.. كلكم تريدون بصيصًا من الغد.. وليس من الحكمة أن تروا هذا المصير.. فهل حقًا أنتم على ذلك عازمون؟!

ساد الصمت هنيهة..

لم أعتد من قبل أن أرى عرافًا يقول (لزبائنه) إن مصيرهم أسود وأن غدهم قاتم.. من المعتاد أن يقول لهم إن كل شيء تمام وإن الأيام القادمة هي أسعد الأيام.

على كل حال أنا لا أومن بهذا الهراء.. ورأيي هنا صارم لا يتزحزح، لا يوجد تنبؤ بالغيب لدى بشر.. ولو أن هذا النصاب

كان يعلم الغيب حقًا لصار حاكم العالم بعد أسبوع..

إن الإنسان الذي يعرف الغيب لقادر على أن يكسب كل أوراق اليانصيب، ويعرف أين تتوقف الكرة في لعبة (الروليت)، ويعرف كل الخطط الحربية وأرقام حسابات البنوك وأسئلة امتحان الثانوية العامة..!، إنسان كهذا لن يجلس في غرفة يشرب القهوة ويحاول أن يبهرنا..

قطعت المرأة العجوز حبل أفكاري قائلة بصوت رفيع مرتجف:

- إنك أثرت فضولنا يا د. (لوسيفر).. هل تعني أن كل الجالسين هنا مستقبلهم قاتم؟.. ما سر هذه المصادفة؟

ابتسم ابتسامته الغامضة وقال:

- لأن كل الجالسين هنا - أو أكثرهم - من اللاعبين بالنار.. لا مصادفة هنالك في أن يحتشد في مكان واحد عدد ممن ستحترق أناملهم...

تنهدت المرأة.. وغمغمت:

- أنت تثير رعبي بكل هذا.. ولا يسعني إلا أن أطلب منك أن أكون الأولى..

ومدت العجوز يدها نحو د. (لوسيفر) فناولها الأوراق، وطلب إليها أن تخلطها بنفسها.. فهو يريد أن يلقح الأوراق كلها بمغناطيسية الشخصية، وأن تكرس تفكيرها كله لمحتوى هذه الأوراق..

وفي أذني همس (كولبي):

- تتكون أوراق (التاروت) من ٧٨ ورقة في صورتها الكاملة، منها ٥٦ ورقة تدعى (السر الأصغر) هي التي ولدت منها أوراق اللعب المعروفة حاليًا.. أما الـ ٢٢ ورقة الباقية فتدعى (السر الأعظم)..

ولهذه الأوراق ترتيب معين يمكن للملمين بـ (التاروت) أن يجدوا فيه قصة كاملة..

- إذن سيحكي لنا هذا الرجل سبع قصص..

- بالتأكيد.. فالجالسون هنا سبعة..

كانت السيدة قد انتهت من خلط الأوراق فأعادتها إلى د. (لوسيفر)، الذي تناولها..

وبهدوء بدأ يقلب الأوراق بترتيب معين.

الصور الزاهية الغامضة تتراءى لعيني في الضوء الأخضر الغامض.

وبدأ د. (لوسيفر) يتكلم.
وكانت هذه حلقة الرعب الثانية.
لقد دارت العجلة ولن تتوقف إلا حين يقرر هو ذلك..
لأنه رجل لطيف طيب...
ولا أحد ينكر ذلك..

* * *



وبهدوء بدأ يقلب الأوراق بترتيب معين ..

الحكاية الأولى

ماذا أصاب (لوين)؟

بطولة: ليليان مازورسكي

(لقد كان الجواب قريبًا منك يا سيدتي
لكنك لم تفهمي قط)..



الاسم : ليليان مازورسكي

السن : ٥٦ عامًا .

المهنة : سكرتيرة سابقًا .

الحالة الاجتماعية : أرملة وأم لثلاثة .

الإقامة : نيويورك .

الجنسية : أمريكية لكن أصولها تعود إلى (بولندا)

وقد نزح أبوها إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٢، وهو عامل طباعة أصلًا .

الهوايات : إن مسز (مازورسكي) اجتماعية جدًا ، وتهوى صحبة البشر ، وفي هذه الأمسية اصطحبتها صديقة ابنتها (لويز) لتقابل هؤلاء القوم الخارقين للعادة. بالإضافة إلى ذلك هي تهوى سماع موسيقا العشرينات وأغاني (نات كنج كول).

قال دكتور (لوسيفر) وهو يرتب الأوراق أمامه:

- والآن دعينا نر يا مسز (مازورسكي)...

أجفلت المرأة حين سمعت اسمها..، ولم أر في هذا معجزة ما.. فمن أسهل الأمور أن تعرف أسماء المدعوين إلى حفل..

كانت الورقة الأولى هي ورقة (الساحر).. تمثل ساحراً يقف أمام مائدة عليها أشياء عديدة.. [فيما بعد عرفت أن هذه الورقة تشير إلى المهارة والثقة بالنفس، بينما يرى (أنطوان كورت) الفرنسي أنها ترمز إلى القرن الأول

للديانة المسيحية، على حين يرى علماء النفس أنها ترمز لانبثاق (الأنا) في النفس البشرية].

الورقة الثانية كانت (المشنوق) وكالعادة تمثل شابًا معلقًا من قدمه اليمنى إلى المشنقة.. وتشير هذه الورقة إلى الاستسلام والتضحية بالنفس...

الورقة الثالثة هي (القوة).. وتمثل رجلًا يصارع أسدًا..

ثم جاءت ورقة العالم.. ثم ورقة المحاكمة..

وأخيرًا جاءت الورقة المشئومة: الموت.. يظهر فيها هيكل عظمي يمسك بمنجل يحصد به الرءوس..

وفيما بعد عرفت أن هذا الرسم المميز للموت في خيال الإنسان، إنما استمد أساسًا من أوراق (التاروت). وعرفت كذلك أن رقم هذه الورقة الكئيبة هو (١٣)!.. دائمًا هي الورقة الثالثة عشرة..

اتسعت عينا المرأة ذعرًا إذ رأت هذه الورقة.. هتفت في د. (لوسيفر):

- هلا أوضحت لي معنى هذا؟!

نسق د. (لوسيفر) الأوراق بترتيبها الذي خرجت به.. ثم قال:

- لو أننا تتبعنا رأي علماء النفس في هذه الأوراق يا سيدتي لقلنا إنك تعانين من إحساس بالذاتية جد مفرط، مما يضطرك إلى التضحية لتتأقلمي مع المجتمع، وعندئذ تتكاملين روحيًا مع

العالم وتولدين من جديد، وتنتهي خشيتك من الموت..
ثم ابتسم ابتسامته الكريهة وأردف:
- لكننا لسنا بصدد علم النفس هنا، السحر - يا سيدتي - هو إسم اللعبة.. فأصغي جيدًا لما سأقول.......

* * *

في هذا اليوم - الذي حتمًا مر بها منذ أيام - عادت مسز (مازورسكي) إلى دارها شاعرة بالحنق..
لقد كان يومًا نحسًا كله.. فحين ذهبت إلى (السوبر ماركت) لم تجد كيس النقود معها، وخرجت منه لتجد ورقة مخالفة

على زجاج سيارتها الصغيرة لأنها وقفت في الممنوع..
تصاعد الدم إلى رأسها وتراجعت بالسيارة إلى الوراء.. طبعًا لتكسر رفرف السيارة الواقفة خلفها..
وخرج صاحب السيارة يسب ويلعن متسائلًا عن القانون الذي يسمح لهؤلاء العجائز المتصابيات بقيادة سياراتهن في قلب (نيويورك) محطمات سيارات البسطاء الأبرياء الذين لا وقت لديهم لهذا الهراء..
المهم - نوجز القول - اضطرت البائسة إلى كتابة شيك لهذا الرجل الذي ينفجر غضبًا...

ثم إنها رأت أن اليوم قد حقق ما يكفي من النحس، فالسياسة المثلى الآن في العودة إلى الدار.. فاحتساء كوب من اللبن.. فالنوم قبل أن تحدث كارثة أخرى..

وهكذا - ترون - عادت السيدة (مازورسكي) إلى دارها..

وهنا نلاحظ عدة أشياء بخصوص هذه السيدة:

أولًا: هي تعيش في ضاحية نائية بعيدة عن قلب المدينة.

ثانيًا: لا يوجد جيران قريبون على بعد ميلين.

ثالثًا: هي ليست وحيدة في دارها لأن معها ابنتها (لويز)، وهي آخر من بقي

في الأسرة بعد ما تزوج (مارك) ونزح إلى (أوهايو) وبعد ما تزوج (بوب) ونزح إلى (كاليفورنيا)..

* * *

هنا كف د. (لوسيفر) عن سرد القصة والتفت إلى مسز (مازورسكي) وتساءل في كياسة:

- هل كل شيء دقيق حتى هذا الجزء؟

شحب وجهها وغمغمت:

- لا بأس.. استمر إذن.

وعاد د. (لوسيفر) يواصل قصته..

* * *

لم تكن (لويز) في الدار لأنها خرجت مع صديقتها الجديدة (هارييت).. هكذا عرفت الأم حين قرأت الـ (ستيكر) الملصق على الثلاجة..انتزعته في غل وهشمته بين أناملها، ثم فتحت الثلاجة وأخرجت دورق اللبن وصبت لنفسها كوبًا كبيرًا باردًا..

منذ أن دخلت (هارييت) في حياة (لويز) لم تعد (لويز) هي هي.. فتاة السبعة عشر عامًا الرقيقة المرهفة التي تعزف البيانو وتقرأ الشعر ليلًا قد أصابها تغيير ما..

إن (لويز) نحيلة ترتدي منظارًا وثيابها كلاسيكية محتشمة راقية.. أما (هارييت) فصاخبة حمراء الشعر ترتدي أي شيء

وكل شيء..، ومن المؤسف أن الأم لم تجد قط لديها الشجاعة كي تطردها أو تأمرها أن تترك ابنتها وشأنها..

ومن يومها تخرج (لويز) كثيراً.. وتتأخر عن الدار كثيراً.. وحين تعود لا تكف موسيقا (الروك أند رول) الصاخبة الشنيعة عن الدوي في حجرتها مرددة أسوأ أغنيات فريق (هو) أو غيره من أسماء هؤلاء الشياطين الذين يسمون أنفسهم فرقاً..

وكانت الأم تشعر بارتياح شديد لصديقة ابنتها (ماري) التي تناسب طباعها إلى حد كبير.. ولم تكن تريد من (لويز) سوى أن تمضي مع (ماري) فترات أطول..

ثم إن د (لوسيفر) نظر باتجاه الفتاة الجالسة معنا.. وتساءل:

- هل أنا مخطئ في هذا يا (ماري)؟

أبعدت الفتاة خصلات الشعر التي تغطي نصف وجهها وقالت:

- لا.. استمر أرجوك..

* * *

إلى هنا والقصة عادية تمامًا..

من من الآباء هنا لم يمر بها وهو يتعامل مع إبن في سن المراهقة؟..

إن الأصدقاء قد يكونون شعلات من نار ما إن تضع ابنك بينهم حتى يحترق.. وقد يكونون قطعًا من جليد ما إن يلامسهم ابنك حتى يتجمد..، الخلاصة

أنه لن يكون بمعزل عنهم أبدًا، وواجبك كأب أن تنتقي له الأصدقاء معتدلي الحرارة حتى لا يتجمد أو يحترق..

تلكم الخواطر دارت - ولابد - في ذهن الأم فوجدت نفسها تسكب كوب الحليب ثم تنتزع ثيابها ذاهبة إلى الفراش وقد أحست بأنها عازفة عن أكل أي شيء..

إن الفارق الزمني المهول بينها وبين ابنتها - أكثر من أربعين عامًا - يجعل أي احتمال للتفاهم بينهما مستحيلًا.. كان من الأوفق لها أن تكون جدتها، وهي نفسها لا تدري سر الظروف التي قادتها إلى الحمل في الأربعين من عمرها.. حتى أنها ظلت ترتقب في هلع أن تولد

ابنتها مصابة بتخلف عقلي أو عيب خلقي مروع.
لكن شيئًا من هذا لم يحدث والحمد لله..

* * *

صوت الباب ينفتح..
صوت خطوات ابنتها تتسل إلى الداخل..
هرعت حافية القدمين إلى مدخل الدار.. وهتفت في ابنتها:
- ألن تتناولي عشاءك؟
تعمدت ألا تلقى تحية المساء أو تعلن عن وجودها كي تحافظ على كونها مرعبة للفتاة..، ورسمت على وجهها تعبير حزم

مسرحيًا، فالحقيقة المؤسفة هي أنها لم تستطع قط أن تكون حازمة مع طفلتها..

- تناولته بالخارج..

قالتها الفتاة.. شاحبة.. غريبة الأطوار مبعثرة المنظر قليلًا..، ثم إنها هرعت إلى غرفتها دون إضافة أخرى..

في هذه المرة لم تحتمل مسز (مازورسكي) هذا الذي يحدث كل ليلة تقريبًا.، هرعت إلى غرفة الفتاة بدورها وفتحت الباب بعنف لتجد ابنتها واقفة أمام النافذة تنظر عبرها إلى الليل المظلم بالخارج..

- (لويز)! - صاحت في عنف - ماذا دهاك بالضبط؟

هل أنت واثقة أنك بخير؟

ودون أن تدير الفتاة ظهرها.. همست:

- أرجوك ألا تشغلي بالك بي..

لكن مسز (مازورسكي) كانت في غاية الانشغال بالفعل.. منشغلة منذ زمن سحيق.. منشغلة إلى حد إجراء تحريات واسعة عن ابنتها.. منشغلة إلى حد تفتيش حجرتها ركنًا ركنًا.. منشغلة إلى حد كشف القميص عن معصمها ليلًا بحثًا عن آثار إبر، فهي لم تكن واثقة من أن ابنتها لا تتعاطى شيئًا ما..

هي قد قرأت مرارًا أن المراهق مدمن المخدرات يحرص على ارتداء ثياب شتوية في الحر ليغطي معصميه بها.. والوقت كان صيفًا.. وبرغم ذلك ترتدى (لويز) قميصًا طويل الكمين..

- إلى أين ذهبت أنت و (هارييت)؟
- لا شيء.
قالتها الفتاة ومطت شفتيها اشمئزازًا:
- ذهبنا إلى السينما.. وزرنا بعض الصديقات.. كان كل هذا مملًا..
- ومتي تناولت العشاء إذن؟
- ليس عشاء بالمعنى الحرفي.. بعض البطاطس المحمرة و(كولا)..
إذن قد حان الوقت للعب دور الأم الحانية:
- سأعد لك العشاء.. ولسوف تأكلينه..
- ولكن أنا لا...
- (لويز)!.. من فضلك افعلي شيئًا من أجلي.. شيئًا واحدًا..

وإلى المطبخ ذهبت مسز (مازورسكي).. أعدت بعض الكبد مع البصل.. يا ليت زوجها (بول) كان هنا.. إن سلطة الأب لشيء شديد الأهمية لا تشعر به سوى الأمهات.. تمامًا كما أن عناية الأم شيء هام لا يفهمه إلا أب يحاول تغيير (الكافولة) لطفله.. كان (بول) يفهم هذه الأمور.. ومن يدري؟. لربما كانت واهمة في ظنونها.. لربما ابنتها تمر بأزمة نفسية عابرة وهي في سن يشعر جيدًا بالحرمان الاجتماعي..

نعم.. هي بالتأكيد في حاجة إلى رأي طبيب نفسي أو خبير تربوي.. إن هذا الذي يحدث ليس........ آي!..

وفي جزع تأملت الجرح في إصبعها.. لقد مزقته السكين تمزيقًا.. والدم يسيل على رخامة المطبخ..

- مامي!... هل جرحت نفسك؟

هتفت (لويز) في هلع.. ثم إنها تقدمت من أمها وأمسكت إصبعها.. متى دخلت المطبخ؟.. إن الأم لا تذكر شيئًا من هذا..

المهم أنها أمسكت إصبع الأم، وفي رفق وحنان شرعت تمتص الدم من عليه، وهو مشهد ألفته الأم جيدًا ولم تندهش له.. ما أثار دهشتها هو التلذذ الواضح في ملامح (لويز).. هو البريق الغامض في العينين.. كأنها قطة تلعق اللبن في رضا..

ودون كلمة اخرى انتزعت الأم إصبعها.. وإلى الحمام جرت لتأخذ من

الصيدلية قطعة من البلاستر..
وفيما هي عائدة إلى المطبخ، كانت (لويز) جالسة أمام طبق الطعام تلتهمه في جوع واضح.. وتقول لها:
- يجب أن تكوني حذرة يا (ليلي).
- اسمي (مامي).. وللمرة الألف أقول لك إنني امرأة من الطراز العتيق.. وفي مراهقتي لم أكن أنادي أمي باسمها..
- هلمي يا (ليلي).. لا تتشبثي بالألفاظ هكذا..
- اخرسي يا (لويز)!
فخرست الفتاة.. ولما كان الليل قد توغل، صعدت كلا المرأتين إلى غرفتيهما لتناما..
ولم تتبادلا تحية المساء بالطبع..

لكن الأم - في فراشها - لم تستطع أن تهدأ بالًا.. صوت موسيقا (الروك) يتعالى من غرفة طفلتها طاردًا كل احتمال للنوم..

وأخيرًا تسمع صوت الـ (ستريو) يغلق.. وتسمع الـ (كليك) المميزة لانغلاق النور الكهربي في غرفة الفتاة..

* * *

الظلام الدامس.. صوت الساعة الرتيب.. صوت أنفاسها..

ولكنها تتبين صوتًا آخر.. صوتًا لا ينتمي لأوركسترا الليل التي ألفتها واعتادتها.

ما هو أصل هذا الصوت؟.. وما مصدره؟..

نهضت في تؤدة إلى الباب وأصاخت السمع.. فلم يكن ثمة شك فيما سمعته.. إنه لصوت قدمين حافيتين دقيقتين تزحفان فوق الأرض.. لا داعي للمزيد من الإنصات ولتفتح الباب لترى..

بالتأكيد هما قدما ابنتها.. فاللصوص لا يملكون أقدامًا حافية دقيقة على قدر ما تعلم..

فتحت الباب حين كان صوت كالون الباب الخارجي ينغلق.. إذن لقد رحلت الفتاة.. ولكن لأين؟.. وفي هذه الساعة؟..

إلى مدخل الشقة هرعت.. أضاءت الأنوار كلها.. فتحت باب الشقة ووقفت ترمق الظلام الدامس بالخارج..

تستنشق رائحة هواء الليل الصيفي المترعة بزهور البرتقال..

لا أحد على مرمى البصر..

- (لوييييز)!

بأعلى صوتها نادت.. لكن أحدًا لم يكن هناك ليرد عليها سوى نباح كلب من بعيد.. كأنها لمسة أخيرة يضيفها مخرج عبقري على مشهد سينمائي يصف الوحشة..

- (لووييييز)!

كالملسوعة أغلقت الباب.. هرعت إلى حجرة ابنتها وفتحتها.. الفراش خاو ومنسق.. أي أن الفتاة لم تنم قط..

على الفراش كان هناك شيء ما..

وإذ تدقق النظر أكثر تعرف ما هو.. منظار ابنتها الذي لا ترى بدونه تقريبًا.. إذن (لويز) خرجت.. خرجت إلى مكان لا تدري أين هو (لا يوجد مكان من أي نوع قرب هذا البيت المنعزل)..

والأدهى أنها خرجت حافية القدمين.. ودون منظار.. فكيف تستطيع أن تتبين أي شيء؟..

شرعت تتأمل الغرفة بدقة أكثر، فكان أن وجدت مجموعة من الكتب.. قربت عينيها من أغلفتها لتقرأ العناوين..

يا لها من مواضيع!.. (عن الأشباح).. (أنا مشيت مع زومبي).. (مصاصي الدماء يحيون)..

وكانت هناك بعض مجلات على غلافها مصاصو دماء ينقضون على أعناق نسوة صارخات..

تبًا لها من ثقافة!.. ما الذي يثير شغف ابنتها في هذه المواضيع الكئيبة الشنيعة؟.. هل لهذا ارتباط معين بتغير شخصيتها الواضح؟..

هل هذه هي الليلة الأولى التي تغادر فيها البيت؟...

كيف لم تستطع أن تسمعها من قبل إن لم تكن هذه أول ليلة؟..

وهنا جاءها الجواب المريع في صورة خاطر غير مكتمل.. ثما صار فكرة واضحة توشك أن تغدو حقيقة:

لأن هذه هي أول ليلة تمتنع فيها عن عادتها في احتساء الحليب قبل النوم!..
نعم لا شك في هذا.. هي تجرع كوبًا من الحليب كل ليلة، ولم تفعل ذلك اليوم فقط بسبب تعكر مزاجها..
فهل لهذا السبب وحده لم تنم؟.. هل لهذا السبب سمعت قدمي طفلتها وهي تتسلل خارجة؟.. وهذا يعني أن هناك من يدس لها منومًا في الحليب.. ولا يوجد مشتبهون كثيرون للأسف..
كان التفكير يقتلها حتى أنها - عمدًا - ذهبت للمطبخ، وصبت لنفسها كوبًا من السائل الأبيض الدسم..
سأرى - قالت لنفسها - ما إذا كان هذا اللبن منومًا، فإن كان كذلك استرحت من

الانتظار المتوتر.. وإن لم يكن كذلك استرحت من الشكوك.. و.. آوووه! إن.. النعاس..... يغا.....
لقد كان اللبن كذلك!

❋ ❋ ❋

- هالو.. (ماري) هذا أنا أم (لويز).. هلا أتيت إلي بعض الوقت؟.
- أكيد يا سيدتي.. هل حدث شيء ما؟
- لم يحدث بعد.. لكني أعرف أنه سيحدث..

ووضعت سماعة الهاتف بانتظار (ماري) صديقة عمر (لويز).. إن (ماري) لفتاة متزنة عاقلة، لكنها - حين جاءت - لم يكن لديها الكثير كي تقدمه للأم.. فقد

نأت (لويز) بجانبها عنها، ولم تعد تزورها أو تكلمها هاتفيًا.. إن الصداقة لا تشترى ولا تطلب ولقد أحست الفتاة بأنه لم يعد لها مكان في حياة صديقتها.. فابتعدت في كياسة وصمت..

- وماذا عن هذه الـ (هارييت)؟

حدقت الفتاة في أظفار يديها.. وغمغمت:

- حمقاء هي.. غير متزنة.. لكن لها مغناطيسية خاصة.. وكل من يتعامل معها يمر بهذا الطور المريب.. لقد حاولت أن تضمني إلى سلسلة مفاتيحها لكني أبيت.

ثم اقشعر جلدها.. وهمست بصوت كالفحيح:

- الحق أنها فتاة مرعبة!
- ولماذا هي مرعبة؟
- لا أدري.. عاداتها.. شاحبة الوجه جدًا.. تحب الليل والظلام.. أنا لم أرها في ضوء النهار قط..
قالت الأم وقد تذكرت الكتب التي وجدتها في غرفة ابنتها:
- وهل لديك فكرة عما يفعلن حتى ساعة متأخرة من الليل؟.. هل لديك تفسير لخروج (لويز) وحيدة بعد منتصف الليل؟
- لا أدري يا مسز (مازورسكي).. ربما هي مصابة بداء المشي في أثناء النوم.
- لم تشك منه طيلة عمرها..
- ألم تسأليها عن سبب خروجها؟

- بلي.. سألتها في الصباح حين أفقت من إغماءتي..

وتذكرت مسز (مازورسكي) ما حدث..

في ساعة متأخرة من الصباح صعدت لغرفة الفتاة.. وجدتها نائمة في الفراش منهكة تمامًا.. قدماها العاريتان متسختان بالوحل الجاف الذي سارت فوقه ليلًا.. لهذا تتسخ ملاءاتها سريعًا.. تحت عينيها هالتان سوداوان قبيحتا المنظر.. وكالعادة أغلقت كمي قميص نومها وعنق ثوبها بإحكام شديد كأنها تداري شيئًا ما.

مدت الأم يدها وفتحت الزر الذي كان يغلق كم القميص ورفعته لأعلى لتتأمل الساعد الناحل.. لم تكن هناك آثار إبر..

ولكن كان هناك ثقبان دقيقان متباعدان في لحم الذراع كأنما نجما عن نابين حادين..

نابين حادين؟!...

وبدأ جلد ذراعي الأم يتصلب..

لماذا لم تعد (لويز) ترتدى الأيقونة حول عنقها؟.. لماذا انتزعت ستائر الغرفة البيضاء وجعلت أمها تضع بدلًا منها ستائر زرقاء سميكة؟..

لماذا لم تعد تستحم؟..

* * *



صعدت لغرفة الفتاة ..

وجدتها نائمة فى الفراش منهكة تمامًا ..

كان البروفسير (هندريكس) موحيًا بالثقة إلى حد كبير، إذ جلس واضعًا ساقًا على ساق يصغي لكلام الأم، ويرمقها بعينين زرقاوين لا تطرفان.. كان طبيبًا نفسيًا لكنه مولع - كذلك - بعالم الخوارق.. ويقبل قصص الأشباح دون تشنج كبير..

سألها إذ فرغت من قصتها:

- هل كفت (لويز) عن الاستحمام؟

- نعم..

- هل تنام أكثر النهار وتسهر الليل كله.

- نعم..

- وهل رفضت أن تأتي معك إلي؟

- نعم..

نقل ساقًا على ساق.. وغمغم:

- لو أننا أخذنا رأي الطب النفسي في هذا لكان لدينا احتمالان..

وفتح إصبعيه السبابة والوسط ليعد عليهما:

الاحتمال الأول: هو تفاعل هستيري لضغوط تحيط بابنتك..

الاحتمال الثاني: هو أن ابنتك قد أدمنت عقاراً ما.. وعندئذ كنت ستلاحظين العلامات المعتادة: أكمام طويلة - آثار إبر في الذراع - زكام حتى في الصيف - حكاك مستمر بفعل (بق الكوكايين) كما يسمونه - أشياء ثمينة تختفي من الدار - فقدان شهية..

ـ بعض هذه الأعراض موجود.. لكن أكثرها لم يظهر عليها..

- يبقى لدينا الاحتمال غير العلمي.. وهو أن ابنتك قد أصيبت بمس شيطاني.. إنها في سن المراهقة ومن الوارد تمامًا أن تمس في هذه السن..

كانت الأم قد قرأت قصة (طارد الأرواح الشريرة) لـ (بيتر بلاتي) وكادت تموت هلعًا.. لكنها تعلمت الكثير عن هذا الموضوع من الرواية.. وهي كانت ميالة لتصديقه.. ربما عن رغبة خفية في أن تشعر أنها لم تذنب كأم.. لو أن ابنتها أصيبت بالهستيريا أو الإدمان لكان الذنب على رأسها.. أما الأرواح الشريرة فهي تأتي وتذهب دون قانون خاص، ولا ذنب لأحد فيها..

نصحها البروفسير أن تأخذ رأي أحد المختصين في الموضوع.. ورشح لها عالمًا مجريًا سيأتي إلى الولايات المتحدة بعد شهر، وعرض عليها أن يقدم لها دعوة إلى الحفل الذي سيحضره هذا العالم لتكريمه..

كان إسم هذا العالم هو........ (فرانتز لوسيفر).

* * *

وهنا كف د. (لوسيفر) عن الكلام المباح، وابتسم ابتسامة مشرقة (إذا كان لي أن أقول هذا) وقال لمسز (مازورسكي):

- هذه هي حكايتك يا مسز (مازورسكي).. وكلها مرسومة أمامي

على أوراق (التاروت).. فهل نسيت شيئًا؟!
ازرق وجه المرأة (أعني أنه احمرّ لكن في الضوء الأخضر يصير الأحمر أقرب إلى اللون الأزرق).. وبلعت ريقها..

- أنت تعرف كل شيء عن القصة.. ولكن كيف عرفت هذا من الأوراق؟

- هذا سرى الخاص.. وأنتم لهذا تسألون وأنا أجيب..

قلت له عاجزًا عن البقاء صامتًا:

- أعني أنه كان يجب أن تكون هناك ورقة عليها كوب لبن.. وورقة عليها فتاة نحيلة ترتدى منظارًا.. وورقة عليها سكين مطبخ..، وإلا فكيف تحكي كل هذه القصة؟

- لو كان (التاروت) بهذه البساطة لصار لعبة أطفال، ولما كانت هناك درجات (دكتوراه) فيه..

قالها بإباء وشمم.. وأدركت أن الرجل يكرهني بعنف، وأنني صرت عدوه العتيد... سنرى بعد قليل ما سيقول عن (تاروتي) أنا..

في استسلام تساءلت مسز (مازورسكي):

- لقد جئتك مع (ماري) العزيزة لنعرف منك ما ينتظرنا والحل لهذه المشكلة..

- لقد تأخرت كثيرًا يا مسز (مازورسكي)..

- تأخرت عن ماذا؟

- دعيني أحك لك ما سيحدث..

* * *

قال د. (لوسيفر):

- في ذلك اليوم ستعودين يا مسز (مازورسكي) إلى الدار عازمة على اتخاذ إجراء صارم..

ستكونين قد اتخذت قرارًا بألا تنامي الليل أبدًا، ومنذ أيام تكفين عن احتساء اللبن ليلًا لأنك لا تريدين أن تفوتك لحظة خروج ابنتك..، وبالفعل لم يحدث قط أن الفتاة خرجت منذ صرت متنبهة لما عساه يحدث..

إجراء حكيم.. والإجراء الأكثر حكمة هو انتزاع سلك الهاتف من القابس، وتخبئة هذا الجهاز المقيت في خزانة ثيابك..

إلا أنك في هذا اليوم ستتخذين قرارًا أكثر تطرفًا...

ستغلقين الباب على الفتاة تمامًا.. ستختارين لها السجن الانفرادي حتى تشفى مما هي فيه..

وهكذا تتأكدين من أن بالمنزل ما يكفي من الطعام، ثم توصدين الباب الرئيسي وتضعين المفتاح في مزهرية عملاقة بالردهة..

- إن (لويز) تخرج عدة مرات في النهار.. وتخرج مرة واحدة في الليل لتعود في ساعة متأخرة.. هذا - بالطبع - إذا ما تناسينا خروجها الذي كان يحدث بعد نومك.

هذه المرة لن يخرج أحد.. لا أنت ولا هي..
ولئن كان ما تعانيه إدمانًا للمخدرات فلسوف يشفيها السجن منه..
ولئن كان مسًا شيطانيًا فها هي ذي معك تراقبينها طيلة الوقت، وحتمًا ستعرفين الحقيقة..
أحيانًا كان جرس الباب يدق لكنك كنت تتجاهلينه، لأنك أخبرت معارفك وبائع الحليب والصحف أنك سافرت مع (لويز) لزيارة أخيها في (أوهايو).. فلن يفتقدك أحد حتمًا..
إن كل هذا جميل..
لكن الحكمة كانت تقضي بأن تستدعى أحد أخويها ليكون معك، ولعمري هذا هو

الخلل الأساسي في الأسرة الأمريكية: تفككها..، لقد صار ابناك بعيدين عنك جدًا، وفيما عدا مكالمة هاتفية كل شهر.. لم يكن الأمر ليختلف عنه لو كانا قد توفيا منذ زمن..

ستمضين الساعات يا سيدتي تشاهدين التليفزيون..

ستعدين لها الطعام وتصعدين لغرفتها تتوسلين لها كي تأكل شيئًا.. لكنها ستظل صامتة راقدة في الفراش تنظر إلى السقف بعينين زائغتين..

أحيانًا ستنجحين في دس قطعة لحم أو بيضة مقشورة بين شفتيها الجافتين.. وهذا على الأقل سيبقيها حية..

لكن لنقل إنك لن تشعري براحة أبدًا من كل هذا.. فأنت تتوقعين غضبًا عارمًا.. هياجًا.. محاولات انتحار تمنعينها في آخر لحظة.. أما كل هذا السكون والصمت فأمر لا يطاق..

* * *

وفي يوم غير عادي ستصعدين إلى حجرتها..

وبالمصادفة لن تكون هناك، وهو حدث غير عادي في الفترة الأخيرة، وفرصة ذهبية لك كي تعيدي التفتيش..

ذات الكتب الرهيبة.. ذات شرائط (الروك آند رول) جوار جهاز التسجيل ذي البكرتين.. وبقايا طعام..

فتحت درج مكتبها باحثة عن كتابات خاصة بها، فلم تجدي شيئًا معينًا سوى الأيقونة التي كانت لا تفارقها.. ومنظارها..

وهنا سترين ظلًا يتحرك على الحائط فتديرين وجهك لتري ما عساه يكون هناك..

عندئذ ستجدين (لويز) واقفة على الباب تبتسم ابتسامة شيطانية وتسمعينها تقول لك:

- هل وجدت ما تبحثين عنه يا أماه؟

وإذ ترين وجهها ستفهمين الحقيقة..

لقد كنت حمقاء تمامًا..

ألم تربطي قط ما بين تغيير طباعها.. وتلذذها بلعق الدماء التي سالت من

إصبعك.. نومها طيلة النهار وسهرها ليلًا.. وخروجها تحت أستار الظلام إلى القفار.. و(هارييت) التي تخيف صديقاتها..

ثم الأكمام الطويلة دائمًا.. كانت تخفي بها أثر الأنياب في معصمها.. فلماذا؟

الواقع يا سيدتي أن هذه هي طباع مصاصي الدماء. لقد كان الجواب قريبًا منك لكنك لم تفهمي قط..

والآن - وأنت تتراجعين بظهرك للوراء وهي تتقدم منك - تعرفين أنك كنت حمقاء حين لم تدركي ذلك..

حمقاء حين حبست نفسك في بيت واحد مع هذا المسخ الذي يتضور جوعًا..

حمقاء حين لم تصدقي كلماتي هذه..

لكن الأوان قد فات يا سيدتي..
فات للأسف..

* * *

حين انتهى (لوسيفر) من سرد حكايته ساد الصمت بعض الوقت، إلا من صوت الأنفاس الثقيلة وحفيف أوراق (التاروت) بين أنامله وهو يعيد خلطها..

بعد قليل تساءلت مسز (مازورسكي) بصوت مبحوح:

- ومتى يحدث هذا؟

- لا أدري.. ربما الليلة بعد عودتك من هنا..

- وكيف أمنعه؟

- تلك مشكلتك أنت.. إنما أطلعتك على ما سيكون ولك أن تصدقي أو لا تصدقي..

همست المرأة كأنما تحدث نفسها:

- من العسير علي أن أصدق.. لقد تركتها في الدار الآن و.. ولكن.. بالفعل أعترف بأن تفسيراً كهذا خطر على بالي مراراً.. إن (لويز) تخيفني.. طفلتي البريئة التي أرضعتها من صدري تخيفني!

وتهانفت.. فربتت الفتاة على كتفها.. أردت أن أقول لها إن كل هذا لن يحدث لأن (لوسيفر) هذا نصاب بالتأكيد.. لكنني وجدت أن الأصوب هو أن أنتظر ريثما تنتهي هذه الجلسة المشئومة..

- من التالي؟

دوى صوت الببر ناظرًا إلينا.. فرفع الرجل الأسمر كئيب الوجه يده طالبًا أن يكون هو المختار..

ناوله د. (لوسيفر) الأوراق وترك له أن يخلطها..

أخذها منه وشرع يقلبها على المائدة المسدسة أمامه..

ثم بدأ يتكلم..

* * *

الحكاية الثانية

(اللعبة)

بطولة: جون ميلز

(لنقل إن الصفقة التي أعرضها عليك لهامة جدًا.. إنها تساوى حياتك ذاتها.. والثمن الذي أعرضه عليك قريب من هذا).

الاسم : جون ميلز

السن : ٤٤ عامًا .

المهنة : مدير شركة .

الحالة الاجتماعية : متزوج ولم ينجب .

الإقامة : نيويورك.

الهوايات : للأسف مستر (جون) لا يهوى سوى القمار، وقد أضاع مبالـــغ طائلة من المال في (لاس فيجاس). إن هذا قد أضر كثيرًا بوضعه الاجتماعي والمالي وكاد يودي بزواجــه إلى النهاية مرارًا لو لــم تكن زوجته تحبه . إن القمار لهو مرض اجتماعي شبيه بالإدمان وكلاهما يحتاج إلى علاج نفسي صارم .. وللأسف لم يطلب (ميلز) علاجًا كهذا .

الحالـــة الصحية : كما لنا أن نتوقع من ملامح وجهه ، مســـتر (ميلز) مريض بداء عضال في كليتيه .. وهو منذ زمن يعيش مهددًا بإنهاء إقامتـــه في عالمنا هذا .. ولعل هذا يعزيه نوعًا عن كونه لم يأت بأطفال إلى هذا العالم .

كانت الورقة الأولى هي بالفعل أول ورقة في (التاروت).. وتمثل (الجوكر) - المهرج - بثيابه المزركشة، يمسك بيده اليمنى عصاه، واليد اليسرى ارتفع إصبعها السبابة إلى السماء.. بينما يطأ بقدمه كلبًا شرسًا..، ولم يزل العلماء حائرين بصدد هذه الورقة.. لماذا يرفع إصبعه السبابة إلى السماء؟.. هل هي آثار عقيدة التوحيد في الثقافة الإنسانية؟.. وهل هو يطأ الكلب رمزًا إلى مصارعة الشهوات؟..

بعد هذا جاءت ورقة الشيطان.. وأمامه سيدة مذعورة تداري وجهها عنه، ثم ورقة

النجم.. التي تظهر امرأة تسكب الماء في البحر من وعاء فخاري،
بعد هذا جاءت ورقة المحاكمة.. ثم ورقة الكاهنة العظمي...
كف د. (لوسيفر) عن تقليب الأوراق ورفع عينيه نحو مستر (ميلز).. وقال له.
- لك أحكي ما أرى.. ما كان وما سيكون.. ولكن عساك لا تهاب الموت.. لأن الردى ينسال من أوراقك..
وهنا سمعنا ذلك الصوت المألوف يتساءل في حرج:
- معذرة.. هل توجد هنا دورة مياه؟.. إنها (البروستاتا) كما تعلمون!
هتف (كلارتون) بصوته المعدني:

- اجلس يا (كولبي) ولا تكن مهرجًا.. إن أحدًا لن يغادر الصومعة حتى ينتهي د. (لوسيفر) من ممارسته.

- سأموت!

- اجلس يا (كولبي)!

وهكذا شرع د. (لوسيفر) يحكي ما يراه..

* * *

كان مستر (ميلز) يعرف جيدًا نهايته المحتومة..

يعرفها منذ تأمل الطبيب صورة الأشعة، وأنزل المنظار على أنفه ليتمكن من أن يحدج مريضه بعينيه الشبيهتين بسحابتين ممطرتين..

قال له كعادة الأطباء الأمريكيين في صدم مرضاهم:
- إن كليتيك معطلتان يا مستر (ميلز). وهو عيب خلقي قديم فيهما يجعلهما مليئتين بالحويصلات، عديمتي النفع.
- لكني لم أشك منهما قط..
- الكلية عديدة الحويصلات قد لا تعلن عن وجودها قبل سن الأربعين..
ثم وضع الأشعة جانبًا وأردف:
- ثمة حلول مؤقتة كما تعلم كالغسيل الكلوي ومحاولة زرع كلية.. لكن حتى نجد واحدة يمكننا القول إن حياتك مهددة بالخطر تمامًا..
ثم أشار نحو الباب في كياسة:

- والآن أرجو أن تسمح لي بفحص المريض التالي.

❋ ❋ ❋

وهكذا - وبهذه القسوة - عرف (ميلز) أن إحدى قدميه في عالمنا هذا والأخرى في عالم يخشاه بقوة كما خشية (هاملت) من قبل، برغم اشتياق هذا الأخير إلى سبات طويل..

سحقًا للطبيب!.. قال له هذه الكلمات وذهب ليلعب الجولف.. أو قالها وذهب ليتناول الغداء.. أو قالها وذهب ليلقى حبيبته..، لم يدرك قط أنه - ببضع حروف - زلزل حياة إنسان.. خلخلها من جذورها فلم تعد ثمة قيمة لشيء..

الآن فقط يتذكر كفاحه للوصول إلى منصب مدير الشركة.. يتذكر محاولاته للإلقاء بشراكه حول (جين) حتى تحبه.. فتقبل في ليلة صيف باسمة أن تكون زوجته..

كل هذا كان هراء.. كل هذا من أجل لا شيء..

* * *

ولم يصارحها قط بما عرفه..

إن تلك العزيزة الرؤوم لا تستحق أن تتألم ألمًا لا جدوى منه..

فقط هي لاحظت جهامته وجنوحه للصمت. وفسرت الأمر على أنه مشكلة ما في العمل.

أما هو فكانت حساباته محكمة..
إنه مواظب على دفع قسط بوليصة التأمين على حياته. وهؤلاء الحمقى لم يعرفوا قط أنه مصاب بـ.. ماذا كان اسمه؟.. نعم.. تحوصل الكليتين الخلقي..، ولو أنه قضى النحب بعد قليل سيكون لدى (جين) العزيزة مبلغ محترم من المال..
المشكلة هي أنه يريد لها ما هو أكثر..

* * *

في ذلك الوقت اندمج أكثر في القمار، وصار أكثر ترددًا على حلبات سباق الخيل، وهو سلوك جد غريب من رجل

يفترض فيه أن يكون أكثر تجردًا وزهدًا في الموبقات..

لكن ذلك - كما قلنا - كان داء عضالًا فيه، يحتاج إلى رأي الطب النفسي..

هناك بوجهه الشاحب الكئيب كان يجلس يتأمل عجلة الروليت أو أوراق اللعب أو تلاحق حوافر الخيل.. ويمسح قطرات العرق الباردة المتلاحقة فوق جبينه.. ويخسر.. دائمًا يخسر..

لكنه - ككل المقامرين - كان يأمل في أن تكون المرة القادمة أوفر حظًا.. المشكلة هي أن هذه المرة القادمة لا تجيء أبدًا...

وكان هذا هو الوقت المناسب ليظهر (جيروم) في حياته...

* * *

إن (جيروم كلايد) لإنسان مقيت حقًا..
هو كسول.. مهمل.. شديد الذاتية والإحساس بالاضطهاد مما يجعله مرءوسًا سيئًا لكل إنسان حتى ولو كان هذا الإنسان هو (ميلز)...

إن الموظف الذي يتكلم طيلة الوقت عن حقه المهضوم لهو موظف يثير الغثيان.. خاصة إذا ما كان لا يفعل شيئًا تقريبًا..

إن (ميلز) يتمنى دومًا أن يطرده لكنه حقًا لا يدري لماذا لا يفعل ذلك.. ربما لأن (كلايد) لم يكن يظهر لعينيه إلا لحظة يكون (ميلز) رائق المزاج أو منهمكًا إلى حد أن ينسى طرده..

وكان (كلايد) يمارس لا شيء تقريبًا في المكتب.. لا أحد يدري ما يقوم به ولا أحد يهتم...

كالثعلب العجوز يجلس أمام الآلة الكاتبة يطبع أشياء لا يعرف أحد كنهها.. يكتب خطابات لم تطلب منه.. ويسطر جداول لم يردها أحد.. ثم يذهب للغداء أو تناول القهوة، ويعود ليسب ويلعن الحمقى الذين لا يدركون مدى كفاءته..

الخلاصة أنه مخلوق مقيت، ولم تكن البشرية لتفقد بوفاته أكثر مما تفقده إذا توفى خنزير بري في (إندونيسيا)..

وفي ذلك اليوم كان (ميلز) في حلبة السباق يراقب الخيول ذوات الأسماء الموحية مثل (لاري السريع).. (مثلث

برمودا).. (كابوتشينو) تهرع في الحلبة وصياح الناس يصم الآذان..
وكان هو يضع منظاره المعظم على أنفه والجريدة تحت إبطه مراقبًا ما يحدث..
لقد راهن على جواد يدعى (سومبريرو).. وهذا الجواد متفوق يتمتع بكل خواص النجاح فيما عدا عيبًا واحدًا: هو أن (ميلز) قد راهن عليه.. وبالتالي صارت خسارته مؤكدة...!
وبالفعل أصيب الجواد بالبله والعته والشلل الرعاش في ثوان.. وصار هو الأخير في المضمار..
أنزل (ميلز) منظاره وتثاءب ونظر إلى الساعة.. هل عساه يراهن على جواد خاسر آخر.. أم يعود إلى البيت؟..

وهنا شعر بيد ثلجية تلمس ذراعه..

- نهارك سعيد يا مستر (ميلز)!

كان هذا هو (كلايد) الذي بدا له منفرًا أكثر من أي وقت مضى.. كان قصير القامة منحنيًا للأمام كالقرد.. ورأسه الأصلع يلتمع في ضوء الشمس بمادة زيتية كريهة.. وكانت أسنانه النخرة تفضح أعواما طوالا قضاها في التدخين واحتساء القهوة..

- لم أعرف أنك هنا..

قال (ميلز) في تحفظ:

- أحيانًا أجد نفسي راغبًا في قتل الملل..

- أنا كذلك.. لقد راهنت على (سومبريرو) مثلي.. وكالعادة خسر..

مرحبًا بك في نادي الخاسرين يا سيدي!

هز (ميلز) كتفيه عازمًا على الرحيل دون تعليق، لكن الرجل أوقفه بجذب كمه.. يالها من وقاحة!.. ماذا يريد هذا المخبول؟

- أريد أن نجلس معًا ونتحدث.. هل تمانع؟

- لا أرى ما...

- أرجوك يا سيدي.. لسوف أقدم لك عرضًا لا يرفض..

- إذا كان الأمر كذلك.. لربما كانت (الكافتريا) مناسبة..

* * *

- إن كلانا مقامر بالفطرة يا مستر (ميلز)..

كانت هذه هي العبارة الافتتاحية التي بدأ بها (كلايد) حديثه، وكان هذا شبيهًا بأن تبدأ القصيدة بكفر صريح.. فهب (ميلز) محنقًا يوشك على الرحيل.. لولا أن دعاه (كلايد) إلى الجلوس فالهدوء لأن ما سيقوله سيثير اهتمامه حتمًا..

- إذن تكلم..

صب الرجل الكريه لنفسه بعض القهوة وقال:

- من المفهوم لي يا سيدي أنك رجل مريض تمامًا.

- من قال هذا الهراء؟...

- إنني أعمل في شركتك.. وأدخل مكتبك أحيانًا، ولا يعدم الأمر أن أجد تقريرًا طبيًا أو نتيجة تحليل من حين لآخر..

صعد الدم إلى رأس (ميلز):

- أنت تتجسس علي إذن يا (كلايد)!

رشف (كلايد) قهوته في استمتاع.. كان من الذين يجدون أروع اللذات في أن يكرههم الأخرون.. قال:

- لا يهم المصطلح الذي تستعمله... سمه تجسسًا.. سمه اطلاعًا على بواطن الأمور، لكن النتيجة واحدة..

تنهد المدير التعس في استسلام.. سيصغي لهذا الوغد بعض الوقت ثم

ينهض غاضبًا ويطرده من الشركة أول شيء غدًا:

- حسن.. قل عرضك اللعين.

قال (كلايد) وهو يضع بعض (مبيض القهوة) على قدحه:

- لنقل إذن إنني أملك ما تريده أنت.. أنت بحاجة إلى كلية وأنا أملكها..

- لحظة أيها المعتوه.. إن توافق الأنسجة..

- هذا هو أجمل ما في الموضوع.. لقد هيأت المصادفة أن أكون أنا من نفس فصيلة الدم وذات نوعية الأنسجة، لقد قرأت نوعيتها على التقرير الطبي الخاص بك.. وإنه لنوع نادر حقًا.. لكنني أعرف أنني أملك نفس الشيء.

- وهل من المعتاد أن يعرف كل إنسان نوعية أنسجته؟

- طبعًا.. فأنا أجريت فحص الأنسجة كي أتبرع بكليتي من أجل المرحومة زوجتي.. لكنها ماتت قبل أن.... إهئ!

وسالت دمعتان من عيني الوغد مسحهما، وأخرج منديلا كبيرًا قذرًا تمخط فيه.. ثم عاد يرشف القهوة..

تساءل (ميلز) في غل:

- أنت تعرض علي مالم أطلبه..

- بالعكس.. إنني أمنحك فرصة الحياة والاحتفاظ بكل ما قد حققته.. إن هذا يعني المزيد من الأفراح.. المزيد من الرحلات إلى (هاواي).. المزيد من المال.. المزيد من المضايقات لموظفيك..

ثم نظر - بعيني الثعلب - إلى عيني (ميلز):

- لن تجد كلية مماثلة بسهولة..

ولم يكن (ميلز) بحاجة لسماع هذا.. فهو يعرف جيدًا أنه لا توجد كلية متوافقة نسيجيًا معه حتى الآن.. لقد طال انتظاره كثيرًا دون جدوى.. حتى ظن أنهم - في مركز رعاية الكلى - قد نسوا رقم هاتفه..، وجلسات غسيل الكلى - أو ترويق الدم - لم تعد محتملة أكثر من هذا..

لهذا انتقل للخطوة التالية:

- كم تريد مقابل كليتك اللعينة هذه؟

ابتسم (كلايد) ابتسامة الأب الذي يسمع لغو طفله:

- إن (كلايد) يا سيدي لا يبيع كليته بمال العالم.. إنه يبيعها لأنه يريد ذلك.. وبمقابل مختلف عما تظنه..

- إذن ماذا تريد بالضبط؟

أخرج الرجل ورقة وخط عليها بقلمه بضع كلمات، ثم ناولها إلى المدير.. ودون كلمة أخرى أخرج ورقة مالية دسها تحت فنجان القهوة.. ثم نهض مسرعًا لينصرف..

وقبل أن يرحل هتف:

- تعال إلى هذا العنوان في تمام الثامنة مساء إذا ما كان الموضوع يعنيك حقًا.

* * *

الثامنة مساء إلا الثلث..

و (ميلز) في غرفة النوم بداره يربط رباط عنقه أمام المرآة.. ثم يذهب إلى الخزانة فيتناول مسدسه.. يدس فيه بضع طلقات ثم يضعه في جيب السترة من الداخل..

ثم يخرج إلى الردهة فيلثم زوجته طالبًا منها أن تتمنى له حظًا هو أحوج ما يكون له..

- إلى أين أنت ذاهب بالضبط؟

- ذاهب لزيارة.... صديق حميم..

ثم يتركها ويستقل سيارته (البويك) السوداء ينهب بها الطرقات إلى العنوان الذي خطه له (كلايد) على الوريقة..

لماذا شعر بالقلق؟.. لماذا أخذ المسدس معه؟.. لا يدري حقًا.. لكنه شعر بالتوجس

من هذه الصفقة التي لا يستعمل فيها المال.. حين ينتهي الحديث عن المال في المعاملات التجارية يبدأ الحديث عن الدم أو الشرف أو أي شيء آخر.. وهذا النوع من المعاملات يحتاج إلى أن يكون المرء مسلحًا.. قلقًا..

حي قذر من أحياء (نيويورك) هو.. حيث يقف تجار المخدرات في الظلام ينتظرون (مرضاهم) ليزيدوهم رهقًا..، وفتيات الليل يرحن هنا وهناك..

على حين يقف الزنوج جماعات يقطعون الطريق على المارة ملوحين بمداهم...

وفجأة تمر سيارة الدورية بأضوائها الملونة التي تمسح أرجاء الشارع،

فيختفي كل هؤلاء كأنما هي عصا ساحر..
هو ذا العنوان المذكور.. منزل حقير عتيق مدخله في زقاق خلفي مليء بأوعية القمامة التي تتشاجر فوقها القطط السوداء المشعثة.. وثمة رجل سكير يمسك بزجاجة صغيرة من الكحول يرقد على الأرض في شبه غيبوبة..
للحظة شعر (ميلز) أنه في فيلم سينمائي يمثل الحياة السرية لمدينة (نيويورك).. وفي توجس أغلق سيارته وصعد الدرج المهدم قاصدًا شقة موظفه (كلايد).

* * *

- مرحبًا بك يا مستر (ميلز)..
قالها الرجل وهو يفتح له الباب...، ثم قاده عبر صالة عطنة الرائحة إلى مائدة خشبية عتيقة جوار النافذة..
- أرجو أن تجعل نفسك مستريحًا..
وبالفعل استراح (ميلز) على مقعد من الخشب الجاف.. وجذب (كلايد) مقعدًا آخر ليجلس على الطرف الآخر من المائدة وأراح كوعيه عليها ورفع ساعديه عاقدًا أنامله تحت ذقنه غير الحليق، أو الحليق بموسى عمرها قرنان..
وفوق رأسيهما كان هناك مصباح كهربي يتدلى من سلك طويل إلى ارتفاع شديد الانخفاض مما ألقي ظلالًا غير محببة على الإطلاق على وجهيهما..

بعد دقائق من الصمت بدت - كما يقول الكتاب دائمًا - كأنها دهور.. قال (ميلز) في نفاد صبر ممزوج بالرعب:

- هلم.. قل عرضك..

تعود الابتسامة اللزجة إلى وجه (كلايد) ويقول:

- لنقل أن الصفقة التي أعرضها عليك هامة جدًا.. إنها تساوى حياتك ذاتها.. والثمن الذي أعرضه عليك قريب من هذا..

- تعني حياتك أنت؟

- إن كلينا مقامر يا مستر (ميلز) يعاني من إدمان هذا الداء العضال.. الرغبة المجنونة فيما هو أكثر.. العجز عن

التوقف في اللحظة المناسبة.. والحاجة إلى الشعور بالخطر.. أليس كذلك؟

- لا أفهم ما ترمي إليه..



وأخرج شيئًا رماه على المائدة .. كان مسدسًا قبيح المنظر ..

مد الرجل يده إلى جيبه وأخرج شيئًا رماه علي المائدة.. كان مسدسًا قبيح المنظر من النوع ذي الساقية الدوارة..

- ما هذا يا مستر (ميلز)؟

- مسدس.....

- هل تعرف (الروليت الروسي)؟.. المسدس الذي لا يحوي في خزانته سوى طلقة واحدة ويتبادل المتبارزان تصويب المسدس إلى رأسيهما وضغط الزناد، حتى تأتي الطلقة من نصيب أحدهما؟.. أنا أعرض عليك الآن نوعًا من هذا (الروليت الروسي)..

هب (ميلز) غاضبًا.. وقد تصاعد الدم إلى رأسه:

- إذن المسألة هكذا.. أنت قد جننت تمامًا وتتوقع مني أن أشاركك هذا العبث.. اسمح لي أن أقول لك..

رفع الرجل عينية الشبيهتين بعين القط نحو (ميلز)، وغمغم بصوت لا انفعال فيه:

- هلا تركتني أواصل كلامي يا مستر (ميلز)؟.. أنا لن أشترك في هذه اللعبة.. أنت من سيمارسها أمامي لتسليني.. فلئن نجوت من أربع طلقات متتابعة فزت بكليتي التي سأكتب لك إقرارًا بتبرعي بها قبل البدء.. ولكن إذا هلكت فإنني سأرتب الأمر ليبدو كأن هناك من قتلك في هذه الأحياء الإجرامية.. وهكذا تنال زوجتك بوليصة تأمينها كاملة..!

ببطء جلس (ميلز) لاهثًا متسع العينين.. خيط من العرق البارد ينساب على جبينه..ويفعم لسانه بمذاق الملح...
خرجت الألفاظ متهدمة متخاذلة:
- أنت.. مجنون.. تمامًا..
- ربما..
- وماذا تستفيده أنت؟
- أستفيد لذة التوتر والإثارة - واتسعت عيناه - وأستفيد تعذيبك، وأنت تعرف أنني لم أحبك قط يا مستر (ميلز) كما أنك لم تمل لي لحظة..
- وما هو الضمان أنك تبر بوعدك لو أنك خسرت؟
- أنا لم أمتنع يومًا عن دفع خسائري.. وعلى كل حال سأكتب لك كمبيالة بأي

مبلغ تريد.. أستردها بعد إجراء زرع الكلية.. كما سأعطيك إقرارًا موقعًا مني بالتبرع..

- وكيف أعرف أن كليتك تصلح حقًا؟

مد (كلايد) يده إلى جيبه فأخرج حزمة من الأوراق البالية فناولها إلى رئيسه.. وقال:

- خذ وقتك في دراسة هذه التحاليل.. إنها تثبت دون شك أن كلامي صائب.. إن عليها توقيع أطباء محترمين لاشك في كلامهم.. دعك من أن حالة الأوراق الرثة تدل على أنها معي من زمن ولم أقم بتزويرها خصيصًا لك.

مد (ميلز) يدًا مرتجفة نحو الأوراق.. ثم أحجم.. من الجنون أن يساير هذا

المخبول.. من الخطب أن..!.. ثم عاد يفكر.. من يدري؟
لربما كان هذا هو الصواب بعينه.. الحقيقة أن غريزة أخرى تحركت في دمه: غريزة المقامرة.. التي لم يعبر عنها أديب قط مثلما عبر عنها العبقري الروسي. (دستويفسكي) في روايته (المقامر)..
كان العرض مغريًا لكنه لم يستطع قبوله..
- يمكنك أن تبدأ الآن يا مستر (ميلز).. أو خذ وقتك في التدبر وعد إلي أي يوم تريد في هذه الساعة..
نظر (ميلز) إلى الرجل بعينين زائغتين ولم يقل شيئًا..

* * *

مستحيل أن أقبل.. من أدراني أن هذه ليست ألعوبة قذرة من رجل يرغب في إذلالي أو الخلاص مني؟

لكن الحل سيكون عادلًا.. حل المشكلة سيوضع في كف الحظ.. ولسوف يلقي الحظ النرد.. وسأكون الرابح في الحالتين.. إما حياة صحية بلا متاعب.. وإما موت سريع يريحني ويمنح امرأتي الثراء..

وحين عرض التقارير الطبية على طبيبه ذي العينين الغماميتين كان يتمنى أن يخبره الرجل أن الكلية لا تصلح.. ولكن...

- مرحي!.. كيف وجدت هذا المتطوع؟.. إن كليته تناسبك كأفضل ما يكون.. وإنك لمحظوظ يا صديقي إذ وجدت الواحد في

المليون الذي تناسبك كليته والذي يقبل منحك إياها!
كم ستدفع لهذا الرجل الكريم؟
نظر (ميلز) إلى الطبيب مبلبل الفكر.. ثم غمغم:
- لا شيء.. سألعب معه لعبة صغيرة!!

* * *

قال د. (لوسيفر) وهو يتأمل أوراق (التاروت) المبعثرة أمامه:
- وهكذا يا مستر (ميلز).. سمعت عن قدومي إلى (نيويورك)..
وهأنتذا قد جئت إلى صومعتي كي تسألني عن رأيي..
هل قلت كل ما يدور بذهنك؟

تحشرج صوت الرجل.. ابتلع ريقه بصوت مسموع:

- نعم.. كنت دقيقًا يا سيدي..

- الحق أقول لك يا مستر (ميلز) أنك لفي ورطة.. لكن (التاروت) يقترح الحل الصحيح للمشكلة و....

دوى الصوت:

- أرجوكم.. البروستاتا!

- صه!.. لا يقاطعني مقاطع حتى أفرغ من هذا..

وبدأ د. (لوسيفر) يحكي بقية القصة..

* * *

في الثامنة من أحد الأيام ستذهب إلى دار (كلايد) يا مستر (ميلز).. نعم.. أعرف

أنك ستفعل لأني أفهم تكوينك النفسي جيدًا.. ولكن دعنا نر ما سيحدث..

إن الرجل يرحب بك في حماس، ويدعوك إلى الجلوس على المائدة إياها.. وفي هذه المرة يحضر ورقتين..

يكتب على الأولى كمبيالة بخمسين ألف دولار ويوقعها ويمنحك إياها، وعلى الثانية يكتب إقرارًا بأنه يتبرع لك بكليته.

وهنا تخطر لك الفكرة.. لماذا يظن هذا الأحمق أنك غير قادر على أخذ الورقتين والانصراف، ثم الضغط عليه كي يقبل؟.. هكذا دون أية تضحيات من أي نوع؟

لكن الرجل يقرأ ما يدور برأسك من أفكار، وترى المسدس في يده مصوبًا

نحوك.. مسدسًا غير الذي ستجرى به اللعبة:

- مستر (ميلز).. إنك رجل شريف ملتزم بكلمتك فلا تحاول أن تخدعني.. هذا المسدس محشو بالكامل وسأطلقه عليك دون تردد لو حاولت أن تفر.. وبعد انتهاء اللعبة - لو ظللت حيًا - لن أقلق من احتفاظك بالورقتين لأنك أنت من سيطارني وقتها مطالبًا إياي بالوفاء بالتزامي..

وهكذا تجلس إلى المائدة يا مستر (ميلز) وقد فهمت أن الرجل أذكى مما ظننته فيه..

ويحضر لك المسدس ذا الساقية الدوارة ورصاصة واحدة.. فتقوم بتعبئتها.. ثم

تناوله المسدس كي يقوم بتدوير الساقية عدة دورات حتى يختلط عليك الأمر..
بعدها يقول وهو يناولك المسدس:
- ستجرب أربع مرات.. لست ملمًا بقانون الاحتمالات كي أحدس احتمالات وفاتك.. لكني أقول لك إن فرصة العثور على الرصاصة لا بأس بها..، بالطبع لن تجرب ست مرات و إلا كانت فرصة العثور على الرصاصة مائة في المائة.. هل أنت مستعد؟.. إذن أبدأ..!
الأدرينالين يتصاعد إلى أذنيك ورأسك.. أطرافك باردة كالثلج.. قلبك واجف راجف..
الآن فقط تدرك معنى الخطر.. لكن شيئًا من اللذة غمرك وسط هذا.. (كلايد) أيضًا

سييدو راضيا..

ويرتجف نشوة وقد جرفته حمى المخاطرة..

والآن ترفع فوهة المسدس إلى رأسك و... كليك!..

- الطلقة الأولى!.. إن احتمالات موتك تتزايد!

ترى كيف يكون الشعور بطلقة رصاص تمزق مخك؟ بالتأكيد لن تحس بشيء.. فقط يختفي هذا العالم وتجد ذاتك في عالم آخر.

لكنك خائف.. خائف..

وفي بطء ترفع الفوهة إلى رأسك وتضغط الزناد مغمضًا عينيك.. حتى (كلايد) ذاته أغمض عينيه..

كليك!..

لقد نجوت من نصف الاحتمالات، فكيف يكون نصفها الآخر؟..

ودون أن يطلب منك الرجل ذلك ترفع الفوهة مرة ثالثة إلى رأسك.. وتضغط الزناد...

....

وأمام عيوننا المذهولة شرع د. (لوسيفر) يجمع أوراق (التاروت) من فوق المائدة المسدسة ويعيد خلطها.

- أ.. د. (لوسيفر).. ماذا حدث بعد ذلك؟

- في ماذا؟. في هذه القصة؟

- آه.. لقد انتهت عند هذا الحد..!

هتف (ميلز) في حنق وهو يزحف على ركبتيه - إذ كان جالسًا القرفصاء - ليدنو

من المجري النصاب متسائلًا:
- لم أفهم.. هل سأموت أم لا؟.. أنا لهذا جئت..
بلا مبالاة قال (لوسيفر):
- يمكن القول إنك لم تمت.. فورقة الموت لم تظهر.. لقد انتهت أوراقك بورقة الكاهنة العظمى التي تشير إلى أن الموت هو نهاية كل كائن حي لكنها لا تشير إلى موتك بصفة مباشرة..
- ومعنى هذا؟..
- أنصحك أن تخوض هذه التجربة.. فلا يوجد خطر داهم عليك..
وساد الصمت على حين ازداد (ميلز) شحوبًا..

ومن خارج الصومعة تعالت ضحكة أنثوية مرحة.. إنهم يلهون بالخارج على حين تدور هذه المسرحية المرعبة بالداخل..

- والآن.. من التالي؟

رفع (هاري) - ذلك المخبول - يده..

كان مدفوعًا بطبيعته القتالية الميالة إلى التحدي.. فناوله د. (لوسيفر) الأوراق ليخلطها بمعرفته..

وكانت هذه هي الحكاية الثالثة..

* * *

الحكاية الثالثة

(فودو)

بطولة: هاري شيلدون

(النكرومانسر) يمزق جثث الموتى ليعرف أسرارهم.. أما ساحر (دمية الدم) فيمزق أجساد الأحياء ليتعلم منهم).



الاسم : هاري شيلدون

السن : ٣٦ عامًا .

المهنة : خبير حاسبات آلية .

الإقامة : فلوريدا .

الحالة الاجتماعية : متزوج وأب لطفل واحد .

الهوايات : ككل أمـــريكي قـح يهـوى (هـاري شيـلدون) الترحـال ورؤيـة الجديد . له اهتمـام خـاص بشـعوب وثقافـات جـزر الكاريبـي ، يهـوى كذلك التصوير الفوتوغرافي .

سمات شخصية :

إن (هـاري شيـلدون) إنسـان متحضـر شـجاع وإن كان على درجة ما من التهور والاندفاع . وهو صديق حميم لـ د. (رفعت إسماعيل) وقـد سبق لنـا أن دنونـا منـه فـي أسطورتي (الموتى الأحياء) و (اللهب الأزرق) ، وعرفنا أكثـر خصائـص شـخصيته . ونضيـف هاهنـا أنـه - مثـل (رفعت) - يخلق المتاعب لنفسـه حيثما ذهب . وأخيرًا هو زوج مخلص نوعًا وأب طيب .

مالت مسز (مازورسكي) على أذن (ماري) وهمست شيئًا ثم نظرت إلى ساعتها في قلق..
سألها د. (لوسيفر) وهو يرتب الأوراق علي المائدة، ودون أن يرفع عينيه إليها:
- هل ثمة ما يقلق السيدة؟.. هل تأخرت؟
قالت السيدة في شيء من التهيب:
- في الواقع نعم.. إنها الواحدة صباحًا.. وكنت أرغب في..
- لكننا لم نقرأ (تاروت) الآنسة الصغيرة بعد.. أعدك أن هذه الحكاية لن تكون طويلة.. وبعدها نطالع (تاروت) الفتاة..
فلنر ما لدينا هنا.. آه!.. ورقة الساحر.. ثم ورقة الإمبراطورة.. ثم ورقة العاشق..

فورقة القلعة.. ثم ورقة..... الموت.. ولا شيء سواه.. الورقة الثالثة عشر برسمها المقيت تلتمع في الضوء الأخضر أمام عيوننا..

ملت على أذن (كولبي) هامسًا:

- هذا الرجل لا يستعمل سوى أوراق السر الأعظم الاثنتين والعشرين فلماذا لا يستعمل الباقي؟

- في بعض بقاع الأرض - ومن بينها المجر - لا يستعملون سوى أوراق السر الأعظم.

- وما هي أوراق السر الأصغر؟

- هي أربع مجموعات: مجموعة السيوف وعددها أربع عشرة ورقة تنتهي بورقة تمثل ملكًا فملكة ففارسًا.. ثم مجموعة

العصبي ولها ذات الترتيب.. ثم مجموعة الكؤوس.. ثم مجموعة الدراهم.. وبهذا تغطي هذه المجموعات شئون الصحة والعمل والحظ والمال.. أما الملك فيرمز إلى....

- لا مناقشات جانبية يا (كولبي)!

كذا دوى صوت (كلارتون) المعدني يأمرنا أن ننتبه إلى ما سيقول النصاب الأكبر.. فلذنا بالصمت..

قال د. (لوسيفر) وهو يحدق في (هاري):

- إن لك لقلب محارب.. عهدك أن تثور أولًا ثم تفكر.. وإن هذه لشيمة الشرفاء الخالين من الضغائن.. لكن لك قصة رهيبة.. ولك أحكيها دون إبطاء..

* * *

هناك من سطا على منزل (هاري)..

هذا هو ما أدركه الرجل حين عاد إلى داره مع زوجته (لندا) وطفلهما الصغير الجميل (جيمي)..

كان الباب الأمامي مهشمًا..، ولم يحتج الرجل لكثير ذكاء كي يعرف ما حدث بينما هو في حفل زفاف مع أسرته..

هرع إلى هناك.. ودخل من الباب المهشم ليجد آثار العبث في كل موضع من البيت الجميل المتسق..

كانت خزانته الحديدية مفتوحة.. هناك من صهر قفلها بلهب (الأوكسي أسيتيلين) ليسطو على محتوياتها..

وياله - ذلك اللص - من أحمق!... إن (هاري) لم يكن ثريًا يومًا.. كل ما كان بالخزانة هو مائتا دولار وبعض مخططات (الكمبيوتر) الهرمية التي أعدها لنظام مصرفي مستحدث..

الواقع أن (هاري) ورث هذه الخزانة عن أبيه.. وكما أن أباه لم يستطع قط أن يضع فيها ما هي جديرة به كذلك كان شأن (هاري) الذي ورث ضيق الحال عن أبيه..

لهذا أثار دهشته أن يقوم أحد بسرقة هذه الخزانة الحمقاء التي لا تحوي أي شيء تقريبًا، وأجرى اتصالًا هاتفيًا بالشرطة.. فجاء رجالها وقاموا برفع البصمات والتقاط بعض صور للباب.. ثم

عادوا أدراجهم.. دون كثير أمل في معرفة السارق..

* * *

عندما جلس (هاري) و (لندا) في الصباح يفرزان الموجودات التي اختفت من الخزانة، تذكر (هاري) أن هناك شيئًا بالغ الأهمية قد فقد من داخلها.. كيف نسى هذا الشيء؟

لم يصارح (لندا) بأنه قد تذكر ما حدث..

لم يخبرها بأنه يعرف الشيء الوحيد الناقص في الخزانة...

إنه يتذكر الآن.. طبولًا.. أجسادًا راقصة يتناثر العرق من مسامها.. جماجم

تشتعل النيران من عيونها.. (كوديكا).. (كوديكا).. الموتى الأحياء ينشرون سلطانهم في تلكم البقعة من (جامايكا).. ثم الحفل.. ذلك الجو الشيطاني المشئوم..

هنالك خلف الشجرة يختفى مع د. (رفعت) يراقب ما يحدث، ويقوم بتسجيله صوتًا وصورة على حين تقف تلك الساحرة الحسناء تحرق دمى.. وأية دمى!

(رفعت) هو من تنبه إلى الشبه القوي ما بين الدمية و (الندا) زوجة (هاري).. ولم لا؟.. ألم تهاجم امرأة ما (الندا) في السوق وتسرق خصلة وافرة من شعرها الأشقر هذا الصباح؟!



لم يصارح (لندا) بأنه قد تذكر ما حدث ..

لم يخبرها بأنه يعرف الشيء الوحيد الناقص في الخزانة ..

نعم.. (هاري) يذكر مناورة (رفعت) اليائسة التي نجحت برغم كل شيء من أجل سرقة الدمية.. ثم الفرار..

ولم يجرؤ (هاري) على تصديق كل ما قاله (رفعت) من سخف عن (الفتيش) تلك الدمى التي تصنع مشابهة لشخص ما.. ومن المفترض أن ينتقل الإيذاء من الدمية إلى هذا الشخص[3]..

لكنه بدأ يصدقه..

وحين رأى ما دها (لندا) حين أخذ (جيمي) الصغير يتسلى بأطراف الدمية المماثلة لها.. حين رأى ذلك لم يعد يشك في الموضوع من أساسه.. وأيقن أن هناك

أسرارًا في هذا الكون لا يعرف الإنسان عنها حتى القشور..
وإذ عاد إلى (جامايكا) كان قد أزمع أن يداري هذه الدمية إلى الأبد.. لم يجرؤ على دفنها أو إغراقها أو حرقها طبعًا، لأن معنى هذا أن ينسف (الندا) دون رجعة..
لهذا وضعها في كيس من البلاستيك.. ودس هذا الكيس في كيس ورقي أكبر حجمًا.. ثم وضع هذا الأخير في الخزانة..
ومن يومها نسى كل شيء عن (الفتيش) وعن رحلته التعسة إلى (جامايكا) مع ذلك النحس (رفعت إسماعيل)..
لكنه اليوم يتذكر..

ويعرف أن هناك خطرًا جامحًا يهدد (لندا)..

* * *

"خذ الحذر في التعامل معه.. فكل ما سيحدث له سيحدث لها.. تخيل مثلا أن فأرًا قرض منه قطعة، أو أن رماد سيجارة ملتهبًا سقط فوقه!"
[الأم (مارشا) في (أسطورة الموتى الأحياء)]

* * *

والآن يمكن تخيل ما سيحدث..

سيعود السارق إلى داره.. يعد لنفسه قدحًا من الشراب ويشعل لفافة تبغ فظيعة الرائحة (إن الخمر والسجائر هما خبز اللصوص).. ثم يجلس على الفراش متربعًا.. وبلعاب يسيل يبدأ في عد الدولارات ويشعر بخيبة أمل لا توصف.. ثم يمد يده - والأمل يتواثب في صدره - إلى الكيس الورقي ويمزقه.. ويمزق الكيس البلاستيكي بداخله فيجد هذه الدمية القبيحة ذات الشعر الأشقر!..

عندئذ من الطبيعي أن نتوقع أنه سيثور...

سيمزق أوصال الدمية.. أو يرميها في المرحاض.. أو يضعها فوق شعلة الموقد ليحيلها إلى كتلة من الكربون..

فماذا سيصيب (لندا) وقتها؟!..

* * *

ولما كان (هاري) من طراز متسرع حار الدماء، فإنه لم ينتظر دقيقة واحدة.. إن الوقت يمضي وقد مرت ليلة كاملة على السرقة.. وهو لا يعرف السبب الذي جعل اللص ينتظر كل هذا الوقت، لكنه - حتمًا - لن ينتظر أكثر..

أدار قرص الهاتف طالبًا صديقًا قديمًا له.. (جابرييل) إبن الأم (مارشا) الساحرة الجامايكية..، كان (جابرييل) بالصدفة في (فلوريدا) منذ شهرين يبحث عن مزيد من الدولارات، كان يعمل ناد في ناد ليلى على سبيل رفع الدخل.. وبالمناسبة يشكل

المهاجرون من (الكاريبي) جالية لا بأس بها في (أمريكا) ويسمونهم (سبيكس).. وهي كلمة تحمل رنيناً ما من الإهانة لا يفهمها سوى الأمريكان..

- أريد (جابرييل)..

سمع صوتاً ذا لكنة أجنبية يتساءل:

- من يريده؟.. هل أنت شرطي؟

- لا.. أنا صديق..

دوى الصوت ينادي:

- (جابرييل).. ثمة رجل يدعو نفسه صديقاً ها هنا!

ثم صوت (جابرييل) نفسه:

- هاللو..

- (جابرييل).. أنا (هاري شيلدون).. أنا بحاجة لعونك يا رجل..

وللرجل حكى القصة كاملة.. إن هذه الأجواء ليست غريبة على (جابرييل).. بل هو تربى في أحضان السحر الأسود إذا صح هذا التعبير.. ومن الصعب أن تكون أمك ساحرة (فودو) كما تعلم..

- أنت في مأزق يا مستر (شيلدون) - قال (جابرييل) - إن هذه الدمية لخطر حقيقي.. وأرى أن تأتي إلي لنذهب إلى أمي..

- وهل هي هنا؟

- طبعًا.. إنها تحب الولايات المتحدة ولم تكن لترضى بأن أتركها وحيدة في (كينجزتن).. هاك عنواني.. أراك هناك بعد ساعة.

* * *

وتم اللقاء في الموعد المرتقب..
ومن النظرة الأولى أدرك (هاري) أن الساحرة العجوز قد أحالت سكنها المتواضع في هذا الحي إلى نسخة أخرى من شقتها في (جامايكا).. الجلود المعلقة على الجدران.. والأثاث النابي عن الذوق.. والسيجار المشتعل في يدها.. بل خيل لـ (هاري) انها نقلت الرائحة الخانقة معها..
لقد ازدادت المرأة شيخوخة.. لكن عينيها احتفظتا بذات البريق.. وطالت أظفارها أكثر..، وصافحت (هاري) صائحة بصوتها الرفيع:
- هيه!.. أنت هنا إذن أيها الأشقر؟.. وأين صديقك الأصلع كثير الكلام

والتدخين؟.. ألم يزل حيًا على الأقل؟ اجلس.. آه!.. أرى أنك ما زلت أحمق متسرعًا.. لماذا لم تعهد لي بتلك الدمية كي أجردها من سحرها؟ ولكن لا عليك.. إن الأم (مارشا) تعرف.. تعرف كل شيء.. هيه!..لماذا لا تجلس؟!.

جلس (هاري) على طرف الأريكة البالية.. وقال:

- أرى يا سيدتي أن حيويتك لم تتزحزح..

- هذا حق.. ولكن ليكن معلومًا لديك أن الأم (مارشا) لا تفعل شيئًا دون مقابل..

- تعنين المال؟..

ضحكت ضحكتها الرفيعة المجلجلة الشبيهة بصرير باب:

- لا طبعًا.. هـي هـي!.. يبدو أنك لم تعرف الأم (مارشا) بعد..

❋ ❋ ❋

هنا تدخلت أنا في الكلام.. فلم أقدر على أن أظل صامتاً إلى هذه النقطة.. سألت (هاري) في دهشة:

- (هاري).. هل ما حدث قد مر بك حقًا أم أن الدكتور (لوسيفر) يتنبأ لك؟

في غموض ابتسم الرجل.. ونظر نحو د. (لوسيفر).

- (هاري).. يجب أن تقول..

واصلت الإلحاح.. فنظر لي (هاري) والابتسامة على شفتيه.. كان يتعمد المحافظة على الابتسام كديدن من

يتظاهرون بالثقة بالنفس وإن لمحت خللًا واضحًا في هذا القناع الأجوف..

غمغم وهو يحك رأسه:

- الواقع أن هذا حدث منذ شهر.. وقد نسيت الموضوع تمامًا.. لكن.. أظن أن د. (لوسيفر) هذا يعرف ما يتكلم عنه..

للمرة الأولى بدأ الفأر يلعب في عبي كما يقولون.. مددت يدي إلى لفافة تبغ وأشعلتها متجاهلًا التحذير الصامت في عيني (كولبي) و (كلارتون) صاحب الدار..

كان (لوسيفر) قادرًا بالتأكيد على معرفة قصة مسز (مازورسكي) ربما من (ماري) صديقة ابنتها، وربما من د. (هندريكس) طبيبها النفسي (هل كان

هذا هو اسمه؟).،. وكان (لوسيفر) قادرًا على معرفة قصة (ميلز) فلربما ثرثر بها هذا الأخير..
ولكن كيف - أكاد أجن - استطاع أن يعرف شيئًا عن (هاري)؟.. (هاري) الذي أعرف جيدًا أنه لم يحك شيئًا لأحد.. (هاري) الذي لم يفارقني منذ أتينا هذا البيت.. حتى أنا لم أسمع بهذه الحكاية قط..
وتأملت - وسط حلقات الدخان - وجه (لوسيفر) الشيطاني، بينما عيناه النفاذتان عارمتا القوة تجوبان وجوهنا.. الثقة بالنفس في صورة إنسان.. ومن حين آخر يميل على مستر (كلارتون)

مضيفنا يتبادل وإياه بضع كلمات هامسة.. ثم دوى صوته الجهوري:

- لا داعي للمزيد من المقاطعات.. وأنت يا مستر (كولبي).. هلا خرجت لتريح نفسك قليلًا بدلًا من جلوسك هنا تتواثب كالبرغوث؟

في امتنان وثب (كولبي) على قدميه.. غادر الصومعة مهرولًا بينما دخان البخور يمتزج بدخان سيجارتي.. ومن مكان ما تنبعث موسيقا شرقية ممسوخة من التي يستعملها الغربيون دون أن يفهموا كنه (الربع تون)..

وعاد صوت الببر الراضي عن نفسه يتكلم..

* * *

قامت الأم (مارشا) بعمل رائع..
عمل رائع إذا كان لنا أن نطلق هذا على كل التعاويذ التي راحت ترددها.. وكل البخور الذي أطلقته.. وكل التلوي المحموم حول جورب (لندا) الذي كان (هاري) قد سرقه لها باعتباره شيئًا حميمًا من أشيائها..
ثم إنها سكبت بعض الماء على النار التي أضرمتها في الجورب.. فتصاعد دخان خانق الرائحة من الجورب المصنوع من ألياف صناعية.. شرعت تردد عبارات لا حصر لها واللعاب يتناثر من فيها..
وحين انتهت - أخيرًا - مدت يدها المخلبية إلى (هاري) داعية إياه أن يمسح وجهه بالرماد..

- هكذا يمكننا القول إننا عزلنا المرأة الشقراء عن دميتها.. ونحن الآن في مأمن..

- إذن أستطيع العودة إلى داري...

- بالتأكيد.. لكن لا تنس ما قلته لك.. لقد قلت إنني أفعل ذلك مقابل ثمن..

- وأنا مستعد لدفعه دون إبطاء..

قالت وهي تجفف يديها من الماء.. وتبتسم في ثقة:

- أريد بعض قطرات من دمك!

* * *

- هل حقًا تعنين ما تتحدثين عنه؟

كذا سألها (هاري) ذاهلًا غير عالم بم يرد عليها..

- الأم (مارشا) لا تمزح أيها الأشقر..
سألها وهو ينظر نحو (جابرييل) باحثًا عن مهرب:
- هل لي أن أعرف السبب؟
- قلت إن هذا هو أجري وليس لك أن تسأل.. ولكن ثق إن الأم (مارشا) لا تنتوي إيذاءك.. لنقل إنها بحاجة ماسة إلى دماء شاب أبيض شجاع من أجل (الفودو).
وجد (هاري) أن عليه ألا يبدل طابع الشاب الشجاع غير المؤمن بالخزعبلات..، فمد يده إلى الأم وعلى وجهه ابتسامة الواثق من نفسه..
ابتسمت المرأة في رضا وتناولت كأسًا زجاجية، وسكينًا.. ثم أمسكت بكف

(هاري) المفتوحة، وبنصل السكين أحدثت شقًا سطحيًا صغيرًا ثم تركت الدم تسيل منه قطرات إلى الكأس..

- كذا.. لقد انتهيت تمامًا..

وناولته قطعة من ألياف الكتان بللتها بزيت خاص.. وأمرته أن يضغط بها الجرح بعض الوقت..

ثم أومأت له كي ينصرف، وقالت إن الأمور ستكون على ما يرام بخصوص (لندا) فليس عليه أن يقلق على شيء..

* * *

قال د. (لوسيفر):

- هكذا.. يمكننا القول إن هذا هو ما حدث لصديقنا (هاري) منذ شهر أو

أكثر..، ولا شك في أنه نسي الأمر تمامًا.. ولكني ذكرته به لأنه قد قارف خطأ جسيمًا..
المرء لا يترك قطرات من دمه لدى ساحرة (فودو) ويرحل.. صحيح أنك تعرفها.. صحيح أنها صديقة قديمة لك.. صحيح أنها أنقذت حياتك من (الزومبي) يومًا ما..
لكنك - والحق يقال - لم تكن حذرًا، فالمرء لا يستطيع أن يثق بساحرة.. إن هؤلاء النسوة يتقلبن كالبحر ذاته.. ولديهن ما لا ينتهي من الألاعيب الشيطانية.
إليك أوجه نصحي.. هل ما زالت هذه المرأة وولدها داخل الولايات؟..هل تستطيع الاتصال بهما؟

قال (هاري) في حيرة:
- نعم.. ولكن لمـ....؟
- لأنك ستدعو (جابرييل) إلى كأس من الشراب، ثم تأخذ الكأس وعليه بصماته إلى الشرطة.. عندئذ يتضح لك أن السارق الذي فتح خزانتك هو بعينه (جابرييل)!!
تبادلت و (هاري) نظرة حيري.. ثم توليت السؤال:
- ولماذا يفعل ذلك؟
- لأنه يريد أن تجيء إليه وإلى أمه بكامل إرادتك طالبًا العون.. وقد فعلت ودفعت الثمن من دمك الذي منحته لهما بإرادتك الحرة، ودون ضغوط خارجية.. هل فهمت؟

- حتمًا لا..

قال د. (لوسيفر) وهو يمد يده طالبًا بعض القهوة:

- ألم تسأل نفسك لماذا يسطو أحد على خزانتك أنت بالذات ويتجشم كل هذا العناء مع أنك لم تشتهر بالثراء يومًا؟.. الأمر واضح لا لبس فيه.. كان يريد شيئًا ما من الخزانة غير المال.. وهذا الشيء هو الدمية..

- ولماذا يريدها؟.. ولماذا يريد دمي؟..

- لأن هناك أسلوبًا سحريًا يعشقه سحرة (الفودو).. هو أسلوب (دمية الدم)... اصنع (فتيشًا) لإنسان - مثل (لندا) - وضع عليه قطرات من دم إنسان يحبه - مثلك في هذه الحالة - ثم اغمس

الدمية في مياه المستنقع ثلاثة أيام.. ثم ادفنها في الرمال شهرًا..، والنتيجة هي أن صاحب (الفتيش) يتلاشى تمامًا بينما تحل جميع صفاته ومزاياه في الساحر..

- تعني أن هذا نوع من فنون (النكرومانسي)؟

- لا.. (النكرومانسي) يمزق جثث الموتى ليعرف أسرارهم.. أما ساحر (دمية الدم) فيمزق أجساد الأحياء ليتعلم منهم..

- ولماذا تريد الأم (مارشا) هذا؟!

- لأنها تريد أن تتحول إلى أمريكية شقراء!.. إن هذا منطقي جدًا خاصة منذ جاءت إلى (الولايات المتحدة)، ووجدت نفسها تحت خط الفقر مع ابنها.. لقد فقدت كل سلطة لها وكل نفوذ، وهي

تتمنى لو كانت أمريكية بيضاء كالأخريات.. لو أنها لم تكن (سبيكس)..

تنهد (هاري) ونظر إلى أوراق اللعب المشئومة المتراصة على المائدة.. وتساءل:

- لو كان كلامك صحيحًا.. فلماذا لم يحدث هذا حتى الآن؟

- ثلاثة أيام وشهر.. تلكم هي الفترة اللازمة لوقوع التلاشي.. وأنت منحت المرأة دمك منذ شهر.. أي أن التحول قد يقع في أية لحظة من الآن فصاعدًا..

ثم رشف رشفة من القدح.. وأردف:

- عليك أن تسترجع الدمية منها بأي ثمن.. وإلا...

ثم شرع يكمل القصة لـ (هاري)..

* * *

ذات يوم ستعود لدارك يا مستر (شيلدون) شارد الذهن.. فأنت عاجز تمامًا عن استرداد الدمية.. ولم تستطع أن تجد (جابرييل) في أي مكان..

وحين ذهبت إلى مقر الأم (مارشا) لم تجدها..

ستفكر لحظتها في مدى خطورة تجاهل الأمر.. لم لا تتجاهله؟..

إن الأمر كله مجرد كلام قاله د. (لوسيفر)، وليس بالضرورة هو الصواب.. لماذا لا يكون هذا الأخير مجرد نصاب؟..

وتنادي على (لندا)..

- (لندااا)!.. حبيبتي.. أنا قد عدت..

فلا تجدها.. تقول لنفسك إنها في المطبخ حتمًا..

تصعد إلى هناك فلا تجدها كذلك.. هل خرجت؟.. هل تزور جارتك؟

وأين ذهب الشيطان (جيمي)؟..

لن تصدق ما حدث إلا حين ترى بقع الدم على (الموكيت) خارج غرفة النوم.. ستدخل.. وعندئذ ترى كل هذا الهول على الأرض.. فوق الفراش... وعلى الجدران. وآثار كفها المخضبة بالدم..

لم تستطع البائسة أن تفهم ما يحدث لها..

أما الشيء الذي سيثير انتباهك حين تهدأ العاصفة الأولى..

الشيء الذي ستراه ما بين الدموع التي تغمر مقلتيك.

الشيء الذي ستتذكره على الفور..

هو جورب أسود صغير نصف محترق يلتف عنقها.. الجورب الذي أعطيته لساحرة (الفودو) منذ شهر واحد..

وإلى جوار الجورب ترى ألياف كتان مألوفة الشكل وقد تلوثت بقطرات من دماء..

إن الأم (مارشا) لامرأة أمينة قل أن تجد مثلها هذا الزمن..

امرأة لا تنسى إعادة ما اقترضته!..

* * *

انتهت القصة..

ولمحت (هاري) يحاول التظاهر بأنه لا يرتجف.. لكن هذا زاد الأمر سوءًا.. ومن الذي يجرؤ على لومه؟..

مددت يدي نحو معصمه مواسيًا.. وهمست:

- إن هذا إلا رجم بالغيب يا (هاري).. فلا تقلق.. ما الذي يدفع (مارشا) لهذا؟.. أعتقد أن هذه المرأة أقوى بمراحل من أن تلجأ لحيلة تافهة تجعلها بيضاء..

قال (هاري) في توتر:

- لا أدري.. لكن القصة ملأتني قلقًا.. يجب أن أذهب للمرأة وأحاول استرداد الدمية منها ولو كلفني هذا تحطيم عظامها..

- هذا بفرض أنها أخذتها حقًا!

دوى صوت د. (لوسيفر) الببري يقول بتؤدة:

- والآن من التالي؟.. إن صحبتكم لتملؤني حبوراً.

قلت في كياسة:

- ألا تجد أنه من الغريب أن نكون كلنا منحوسين إلى هذا الحد، ثم نحتشد في مكان واحد؟

- لا غرابة - قالها وهو يخلط الأوراق - إن من جاءوا هنا إنما هم بالفضول مدفوعون.. أي أنهم يهوون الخوارق، ومنهم من جاءوا طلبًا للنصح أي أنهم في ورطة حالية.. وكلا النوعين يمكن أن يرى الجانب المظلم من القمر..، والآن.. من التالي؟

آه!.. الآنسة الصغيرة.. إنها تريد الانصراف مع صاحبتها السيدة

(مازورسكي).. هلا أخذت الأوراق وقمت بخلطها لي يا صغيرتي؟

فعلت الفتاة ذلك وهي ترتجف.. حتى أن الأوراق سقطت منها مراراً..، كان وجهها الملائكي الشفاف يعكس أقسي علامات الرعب، وقلت لنفسي في دهشة: ترى أي سر مخيف تطويه هذه الفتاة المرهفة - كأنها (سنو وايت) - خلف ضلوعها؟.

هوذا د. (لوسيفر) يتكلم...

تعالوا نصغ إليه...

* * *

الحكاية الرابعة

(والآن نرجوكم الصمت!)

بطولة: ماري جوليم

(لقد جاء دورك يا صغيرتي.. لكنها - أعدك - لن تكون لحظات طويلة!).



الاسم : ماري جوليم

السن :١٧ عامًا .

المهنة : طالبة .

الإقامة : نيويورك .

الهوايات : هي فتاة رومانسية تحب الشعر والموسيقا وتعزف عزفًا رديئًا جدًا على البيانو ، لها مجموعة محدودة من الصديقات أهمهن (لويز مازورسكي) . تحب أجواء الرعب وعوالم ما وراء الطبيعة بصفتها سوداوية المزاج . وستكون هذه الهواية وبالًا على رأسها .

صفات عامة :

إذا ما تغاضينا عن هوايتها اللعينة هذه لأمكننا القول دون تحفظ إن (ماري) فتاة عاقلة رصينة تنتمي بطباعها وأخلاقها إلى عصر الخمسينات الجميل .. ودليلنا على هذا هو أن مسز (مازورسكي) تثق بها بشدة ..

بأنامل رقيقة شرعت (ماري) تخلط الأوراق..
ثم ناولتها عبر المائدة إلى الطبيب المجرى غريب الأطوار..، وعادت تثني ساقيها تحتها كقطة صغيرة.
- معذرة يا د. (لوسيفر)!.. دورة المياه.. إنها البروستـ..
دوى صوت (كولبي) المرتبك المحرج.. لكن د. (لوسيفر) أخرسه بإيماءة حازمة من يده..
ثم إنه أمسك بأوراق (التاروت) وشرع يفرزها على المائدة.. متجاورة.. متماسة..
أما أنا فكنت أحاول أن أفرد ساقي اللتين تخشبتا من جلسة القرفصاء هذه..

لماذا يصر هذا النصاب على الجلوس على الأرض؟.. ما الفارق لو مارس ألعابه هذه فوق مائدة؟.. إنه فقط يحاول أن يحدث تأثيرًا سيكولوجيًا علينا.. وهذا التأثير ناتج عن ارتباط السحر بالشرق.

وبمعنى أدق: بألف ليلة وليلة..، لكن كل هذا يكون صبيانيًا إذا كان (لوسيفر) غربيًا يجلس مع مجموعة من الغربيين..

على كل حال.. مددت يدي إلى رباط حذائي، ودون تردد انتزعت الحذاء نفسه.. و.. آه ه ه!.. يا للنشوة والراحة...

لمحت أنف (لوسيفر) يتقلص.. وعلى وجهه تعبير اشمئزاز.. دعه يتساءل عن مصدر هذه الرائحة.. فلو كان عرافًا حقًا

لما عجز عن معرفة أن هناك من انتزع حذاءه تحت المائدة المسدسة!..
والآن دعنا نتأمل الأوراق...

* * *

أولًا: ورقة الحكيم الجالس ممسكًا بعصا الحكمة.. وقد جلس النسر تحت قدميه..، علماء النفس يقولون إنها ترمز إلى نمو البديهة لدى الإنسان.. ويقول (كورت) إنها ترمز إلى سلطة البابا في القرن الرابع الميلادي، بينما يجمع مستعملو (التاروت) عامة على أنها ورقة تعني الرحمة - الشفقة - الكياسة..
بعد هذا جاءت ورقة (القلعة) التي تظهر رجلين تقتلهما الصاعقة وهما يحاولان

اقتحام قلعة كبيرة..
ثم جاءت أوراق الشيطان.. فعجلة الحظ.. ثم - في النهاية - ورقة الموت إياها!.. لقد صار هذا مملاً..
إن هذا الـ (لوسيفر) شبيه بلاعبي الثلاث ورقات في بلدنا.. وأكاد أظنه يخفي ورقة الموت هذه في كمه ليبرزها كل مرة..
سمعت صوته الببري يتردد في السكون:
- لعمري أنت تلعبين بالنار أيتها الفتاة.. ولك أحكي كل شيء.. لكنني لا أبغى مقاطعة..
- ليكن يا سيدي..

* * *



بعد هذا جاءت ورقة (القلعة) التى تظهر رجلين تقتلهما الصاعقة وهما يحاولان اقتحام قلعة كبيرة ..

كانت (ماري) مولعة بكل ما هو غريب..

صحيح إنها فتاة تقليدية مهذبة أحسن أهلها تربيتها؛ إلا أنها كانت تملك ذلك الولع المريض بالرعب.. الرعب الذي يولد تلك الرجفة غير المسبوقة في روحها.

كانت - تذكر - في السابعة من عمرها، حين ارتكبت خطأ ما.. (ماذا كان بالضبط؟).. المهم أن أمها رأته خطأ فادحًا..

جرتها من ذراعها إلى القبو.. رائحة العطن وخيوط العنكبوت.. ثم إنها أوصدت الباب عليها.. الظلام الدامس.

" مامي!.. مامي! ".. أرجوك!.. سأكون فتاة طيبة!

قالتها مرارًا.. بكت.. ضربت برأسها الحائط دون جدوى.. الظلام هو حين تصحو كائنات لا تدري كنهها لكنها جميعًا ذوات أنياب ومخالب.. كلها قادمة كي تلتهمها..

الفكرة تمزقها.. لكنها - في الوقت ذاته - تمتعها.. تجعلها ترتجف بالنشوة واللذة.. ثم ينتابها الذعر فتصرخ أكثر..

وحين انتهت هذه الخبرة كانت (ماري) قد صارت مدمنة رعب، وكان هذا يناسب شخصيتها الهادئة الصموت..

في فراشها قرأت كل ما كتب عن المذءوبين ومصاصي الدماء والقبور التي تنفتح ليلًا لتبرز منها أيد ذوات مخالب.. إن الرومانسية والسوداوية والرعب شيء

واحد متداخل.. وإلا فكيف كتبت (ماري شيللي) زوجة الشاعر الشهير قصة (فرانكنشتاين)؟

وكيف مزج (إدجار آلان بو) الرعب بالشعر؟.. لكن (ماري) لم تصارح مخلوقًا بعالمها الخاص خاصة و (لويز) صديقة عمرها لم تعطها الاهتمام المناسب..

وهنا ظهرت (هارييت) على الساحة..

* * *

قابلنا (هارييت) قبل هذا.. وعرفنا أنها حمراء الشعر صاخبة خرقاء.. وعرفنا أنها شاحبة اللون تعشق الظلام والليل..

وعرفنا أنها شخصية مغناطيسية تسجن كل من يدخل دائرتها بين خيوط

العنكبوت.. ولقد كانت (هارييت) عنكبوتا كبيراً..

* * *

في تلك الليلة جلست أربع فتيات في دار إحداهن يتبادلن المزاح والقفشات..
فإذا دنونا بالكاميرا أكثر وجدنا بينهن فتاة ناحلة ترتدي منظاراً غليظًا.. هذه الفتاة هي (لويز مازورسكي)،.. الفتاة الأخرى حمراء الشعر التي لا تكف عن الضحك الخبيث هي (هارييت).. أما هذه الفتاة الملائكية البتول فـ (ماري).. والفتاة الرابعة السمراء التي ترتدي البنطال القصير هي (هيلين).. صاحبة الدار...

وكما نرى لا تكف (هارييت) عن المزاح - البذيء نوعًا - والكلام عن الفتيان، بينما (لويز) و (ماري) شديدتا التحفظ تضحكان على سبيل المجاملة لأنهما لم تعتادا هذا...

تقول (هارييت) وهي تضع قدميها على الأريكة:

- دعونا نلعب لعبة مسلية..
- مثل ماذا؟
- مثل محاولة تحضير الأرواح!

* * *

برغم احتجاج (هيلين) و (لويز) رجحت كفة (هارييت) و (ماري)..

لم لا؟.. إنها لعبة لا بأس بها.. ولم تجربها واحدة منهن ربما باستثناء (هارييت) التي يخيل لهن أحيانًا أنها تعرف كل شيء في الكون..

إن الأمر سهل.. ستحضر (هيلين) فرخًا من الورق تكتب على هامشه الحروف الأبجدية كلها.. وتحضر كوبًا زجاجيًا..

وبعد إطفاء الأضواء وترديد تعاويذ معينة تضع كل فتاة منهن إصبعًا على قاعدة الكوب.. عندئذ يبدأ الكوب في التحرك مشيرًا إلى الحروف تباعًا.. والحروف تقول كلمات ما..

- لكنها مخاطرة! - قالت (لويز): لقد قرأت أن هناك طريقة ما لصرف الأرواح وإلا أصر بعضها على البقاء!

- هراء! - قالت (هارييت) - كل الأرواح تنصرف بمجرد أن ينتهي الكلام معها..
في الضوء الخافت المخيم على المكان، جلست الأربع صديقات حول الكوب الموضوع فوق الورقة، والورقة بدورها على الأرض..
- روح من نطلب؟
وهكذا..
تساءلت (هيلين).. فأجابتها (هارييت) دون تردد:
- لقد أثيرت تساؤلات عديدة حول (جاك) السفاح.. كثيرون زعموا أنهم عرفوا شخصية ذلك السفاح الذي أثار ذعر (لندن) في القرن الماضي، بل إن أحد المحكوم عليهم بالإعدام صاح وهو على

خشبة المشنقة: أنا جا..!..، ثم انفتحت المصطبة ولقى حتفه قبل أن يعرف الجلاد ما إذا كان هو (جاك) السفاح أم لا..، إن هذا الرجل للغز من ألغاز تاريخ الجريمة.. وأعتقد أنني راغبة في سؤال روحه عن هذا السر..

ارتجفت (ماري) من هول الفكرة:

- إنك تزيدين الرعب رعبًا.

- ولم لا؟.. أليست الإثارة هي ما نريد؟

ثم اتسعت عيناها الخضراوان الشبيهتان بعيني قط.. وهمست بصوت كالفحيح:

- والآن.. نرجوكم الصمت!

* * *

طلبوا روح (جون دوليتل) ذلك الرجل الذي لم يكمل كلامه على المشنقة.. وطفقوا ينتظرون..

لكن دون جدوى.. كانت التجربة فاشلة من اللحظة الأولى.

وفي ساعة متأخرة من الليل انصرفت ثلاث فتيات في سيارة (هارييت) الرياضية عائدات إلى بيوتهن..

على حين ودعتهن (هيلين) على الباب.. ثم دلفت إلى الداخل..

فما إن دخلت (ماري) دارها.. وما إن بدأت تنزع ثيابها حتى سمعت جرس الهاتف يدق.. فهرعت إليه ترفع السماعة قبل أن يصحو واحد من أهل الدار الذين ناموا منذ ساعات..

- هاللو!

- (ماري).. أنا (هيلين)..

- ماذا هنالك يا (هيلين)؟

سمعت صوت صديقتها الملهوف:

- ذلك الكوب.. الكوب الذي لعبنا به تلك اللعبة اللعينة.. هل كان في وضع مقلوب حين تركتم الدار؟!

يا له من سؤال غريب!.. ردت (ماري) في غير اكتراث:

- بالطبع لا أذكر.. ولكن.. أحسبه كان مقلوبًا.

- بالتأكيد كان كذلك..

في لهفة تردد صوت (هيلين) المرتجف:

- حين اوصلتكم للباب وعدت إلى حجرتي، وجدت الكوب في وضع معتدل..

فوهته إلى أعلى..

- أنا لا أرى أهمية لما...

- ألا تفهمين يا حمقاء؟ أنا لم ألمس الكوب.. كما لم تمسسه إحداكن وهذا يعني أن هناك من قلبه..!

- ومع ذلك من المحتمل أن واحدة منا قلبته وهي شاردة الذهن..

- لم يحدث يا (ماري).. لم يحدث.. أستطيع أن أقسم على ذلك..

أنا خائفة يا (ماري).. خائفة!

تنهدت (ماري) في صبر:

- إن هذا كله هو تأثير اللعبة - إن كان لنا أن نسميها كذا - على أعصابك.. إن توترك يجعلك تعيشين أوهامًا قاسية..

ثم ابتلعت ريقها ووجهت لصديقتها دعوة ترجو ألا تقبلها.. لو أنها تعرف العامية المصرية لسرها كثيرًا تعبير (عزومة مراكبية) فهو يعبر بدقة عما تفكر فيه الآن..

- هل تريدين أن آتي لأمضي الليلة معك؟

نعم.. فإن (هيلين) ستمضي هذه الليلة وحيدة..

فأبوها منفصل عن أمها.. وأمها طبيبة يضطرها عملها إلى البيات خارج الدار أحيانًا كثيرة.. إن هذه البائسة ستمضي ليلة رهيبة حقًا.. لكنها لم تزل قادرة على التظاهر برباطة الجأش:

- لا يا (ماري).. سأكون بخير.. ليلة طيبة..
- ليلة طيبة..

* * *

لماذا لم تصدقها؟
لماذا لم تعر الأمر اهتمامًا؟..
كان بإمكانها أن تذهب إليها.. وكان بإمكانها أن تدعوها إلى المبيت معها.. وكان بمقدورها أن تطلب لها الشرطة..
لكنها لم تفعل شيئًا من هذا.. ذهبت لتنام وتحلم بعشرات الكوابيس.. بأكواب ملأى بالدماء سرعان ما تنقلب لتسيل على ثوبها.. وترى (هارييت) تبتسم كاشفة عن أسنان ناصعة البياض إلى

حد مريب، بينما الدم يسيل من شعرها الأحمر..
وحين صحت في الصباح غارقة في العرق كريه الرائحة، أدركت أنها ستقطع علاقتها مع (هارييت) الحمقاء من الآن فصاعدًا..
لن تكون مفتاحًا في ميدالية (هارييت) تتسلي بهزه لإحداث صليل.. الأخريات صرن مفاتيح لكنها لن تكون..
وبعد قليل وصلتها مكالمة من (لويز) تخبرها أن (هيلين) قد لقيت مصرعها!...

* * *

تحت أغصان شجرة الصفصاف العجوز جوار سور المدرسة: التقت

الفتيات الثلاث: (هارييت) - (ماري) - (لويز)..
كن واثقات أن أحدًا لا يسمعهن ولا يختلس إليهن النظر.. وكان موضوع الندوة هو: ماذا حدث لـ (هيلين)؟..
لقد سمع الجيران صرخات قادمة من الشقة.. وأسرعوا بمحاولة اقتحام الباب.. ثم طلبوا رجال الشرطة..
وجاءت الشرطة وقاموا باقتحام الباب الموصد.. ثم فتشوا الشقة بعناية، فلم يجدوا شيئًا.. لا جثث فتيات ولا دماء ولا آثار عنف.. هذه شقة نظيفة منسقة غادرها صاحبها..
لم يستطيعوا أن يلوموا الجيران، فما داموا قد أجمعوا على أنهم سمعوا

صراخًا فمن العسير أن يكون هذا وهمًا..
ولكن ماذا حدث بالضبط؟
الإجابة كانت في زقاق خلفي قذر بالمدينة..
والذي وجدها هو متسكع كان يسير هناك، حين وجد جثة فتاة في مقتبل العمر وقد خنقت بحبل غليظ.. لا داعي طبعًا لوصف حال الجثة لأن هناك سيدات هاهنا.. لكن هذه الصورة تقليدية جدًا، ويعرفها هواة قراءة هذه الأشياء المريعة في صفحة الحوادث بالجريدة.
كما لا داعي طبعًا أن نهين ذكاء القارئ بالثرثرة عن بحث رجال الشرطة عن صاحبة الجثة.. إنها (هيلين) طبعًا..

ولكن من قتلها؟.. ولماذا غادرت دارها في ساعة كهذه؟

لم يستطع البوليس أن يعرف من كان معها في تلك الليلة.. لكن صديقاتنا الثلاث يعرفن..، ومن الواضح أنهن لن يخبرن رجال الشرطة بشيء حتى لا يقعن في مصيدة الشكوك والاستجوابات..

لكن (هارييت) أبدت ملحوظة مروعة:

- (جاك السفاح) كان يقتل باستعمال حبل من الليف حول العنق!..

نظرت إليها (ماري) واتسعت عيناها رعبًا:

- ماذا تعنين؟

- أرى أن الأمر لا يمكن أن يكون مصادفة!..

- ماذا تعنين مرة أخرى؟

- كلامها عن الكوب.. لقد كان (جون دوليتل) هو (جاك السفاح) بالفعل.. ومن الواضح أن روحه قد لبت نداءنا.. لكنها لم تنصرف..!.. إن الروح تتسلي بقتلنا وقد بدأت بصاحبة الدار أولًا..

- يا للهول!.. (هارييت)... لا تقولي هذا..

- لكنه الشيء الوحيد الممكن قوله.

وفي حزم نظرت للفتاتين المذعورتين.. وصاحت:

- لنأخذ الحذر إذن.. ولا داعي لذكر كلمة واحدة عن لعبة تحضير الأرواح هذه.. فلا أحد يعلم عنا سوى أننا من

شلة (هيلين)، سنحضر الجنازة غدًا ونبكي كثيرًا ثم ينتهي الأمر..

ونظرت إلى ساعتها واحتضنت حافظة أوراقها قائلة:

- هيا بنا ننصرف الآن.. ولتعمل كل منا على حماية نفسها.. ولتأخذ رأي أهل العلم في الموضوع إذا استطاعت..

ثم رفعت أصبعها السبابة محذرة:

- والآن.. أرجوكما الصمت!

* * *

ومرت أيام..

وكما لنا أن نتوقع.. ابتعدت (ماري) عن صديقتيها (لويز) و (هارييت) وقد لاحظت

التبدل الذي بدأ يطرأ على طباع الأولى.. لكنها لم تستطع أن تجد له تفسيرًا..
وكانت تلك المحادثة بينها وبين الأم.. وبالمناسبة كانت (ماري) هي صاحبة الاقتراح على الأم باستشارة البروفسير (هندريكس) الذي كانت (ماري) تثق برأيه تمامًا..
إن (ماري) لا تدرك أن التغير الذي طرأ على (لويز) سببه تحول هذه الأخيرة إلى مصاص دماء.. ولو عرفت لأصابها الهلع.. ولحكت هذا للبروفسير.. إن الربط ما بين وفاة (هيلين) وتحول (لويز) إلى مصاص دماء كان سيلقي الضوء على القصة كلها.. كان سيلقي الضوء على (هارييت).

لكن (ماري) لم تعلم..
فقط ذهبت إلى البروفسير وحدها.. وله حكت القصة كاملة طالبة رأيه..
لكن الرجل لم يكن يملك ما يقوله سوى اعتقاده (أن هناك شيئًا شريرًا في هذه القصة)..، وأوصاها - كالعادة - باستشارة عالم روحاني مجرى اسمه (لوسيفر)..، وها هي ذي قد جاءت إلى حفلنا الليلة ومعها أم (لويز).. امرأة أخرى ملأى بعلامات الاستفهام التي تبغي لها جوابًا..
ومال د. (لوسيفر) مقربًا وجهه من (ماري)
- أتراني أخطأت يا (ماري)؟!

* * *

لم يخطئ د. (لوسيفر) في حرف..
فالقصة كانت كما حكاها دون تغيير..
قال د. (لوسيفر) وهو يتأمل الأوراق:
- مرة أخرى تتجاهلين يا (ماري) علامات واضحة كشمس الظهيرة.. من هي (هارييت).؟ أين تسكن؟
- لا أعلم.. تقول إنها من (بنسلفانيا) أصلًا، وقد التحقت بالمدرسة المسائية منذ شهرين..
- هكذا! -هتف في انتصار - فتاة حمراء الشعر شاحبة الوجه لا تظهر إلا في الليل.. ولا أحد يعرف أين تسكن..
- تعني أنها.. أنها مصاص دماء؟
- بل أعني أنها ساحرة.. هناك كتاب صدر في عام ١٤٨٧ في عهد البابا

(إينوسنت الثامن) اسمه (مطرقة الساحرات).. هل قرأه أحد؟![4]
همهم (كولبي) و (كلارتون) أن نعم.. فالكتاب معروف لهما بوصفهما من (المتخصصين)..، وفي رفق سأل (كلارتون) الفتاة:
- هل في جسد (هارييت) هذه علامة مميزة.. مثل وشم أو خال غريب الشكل؟!
حملقت الفتاة في المائدة بعض الوقت.. ثم غمغمت:
- ربما.. على لوح كتفها الأيسر..
بانتصار هتف د. (لوسيفر):
- وهذا هو القول الفصل.. يقولون إن الساحرات يكن على علاقة بالشيطان، وهذه العلاقة تترك أثرًا معينًا في

أجسادهن.. أظن أن (هارييت) هذه ساحرة شريرة تلهو بكن.. مرة عن طريق روح (جاك السفاح) ومرة عن طريق لعنة مصاصي الدماء..

أشعلت لفافة تبغ.. وتساءلت وأنا أثني فخذي تحتي:

- وماذا تقترحه أنت؟

- الحرق للساحرة.. والوتد لمصاصة الدماء!

تبادلت و (هاري) نظرة حيرى.. ثم سألت الرجل:

- كنت أظنك تمارس السحر، ولم أتوقع أن تكون لديك هذه الآراء الحازمة بصدد الساحرات!.. كنت أنتظر منك موقفاً أكثر تفتحًا نحو زميلات العمل!

- هناك سحرة وهناك سحرة.. إن (هارييت) هذه تمارس سحرًا أسود مشئومًا.. وأعتقد أنها كالأفعى نفعها لا يذكر وضررها يفوق الوصف.. والخلاص منها هو السبيل..

وأشار نحو (ماري) المتقعة.. وقال:

- دعيني أحك لك ما سيحدث.....

❋ ❋ ❋

لأنه رجل لطيف طيب..

ولا أحد ينكر ذلك..

❋ ❋ ❋

ملأى بالأسئلة والحيرة تعودين إلى ممارسة عملك وحياتك الطبيعية أي (ماري)..

الآن أنت تخشين كل شيء.. ترتجفين فرقًا من كل ظل.. ولم يعد الرعب يروق لك كما كان في الماضي..

إن ما سمعته عن (لويز) وصورة (هيلين) المقتولة لا تبرح خيالك..

حتى أنك - في دارك - تصيرين عاجزة تمامًا عن البقاء وحدك في غرفة، حتى العزاء والسلوى تجدينهما في صحبة طفل صغير مثل أخيك.. أو عجوز مثل والدتك.

لكن العلامات تتوالى..

لماذا تجدين كل كوب تتركينه مقلوبًا؟.. وما سر الدم على منشفتك التي تتركينها في الحمام؟.. وما سر الرقم (٣) المكتوب على البخار المتراكم فوق مرآة الحمام؟.. ما سر ذات الرقم تجدينه مكتوبًا فوق غبار الطاولة؟

ستنادين كل فرد بالدار تسألينه:

- لماذا كتبت هذا على المرآة؟

وسيجيب - مع هزة من الكتفين - قائلًا:

- لم أكتب شيئًا.. لماذا تسألين؟

* * *

لماذا تتكرر معاكسات الهاتف هذه الأيام؟

في كل مرة يدق الجرس فترفعين السماعة.. فلا تسمعين صوتًا على الجانب الآخر..

- هالو!.. هالو!

لا شيء سوى اللهاث البطيء المتحشرج.. والانتظار.. لماذا بالضبط؟

- هاللو!.. أجب أيها الوقح!

وتضعين السماعة في عصبية.. ثم ترفعينها مرة أخرى آملة في سماع من يتكلم..لكن لا جدوى.. دائمًا الصمت المطبق واللهاث..

* * *

وحين تغادرين الدار ليلًا ستعرفين أن هذه هي رحلتك الأخيرة..

أنت لا تريدين، لكن قدميك تتحركان كأن لهما حياة خاصة بهما.. تنسابين كقطرة الندى متسللة من الدار.. تعالجين الأقفال.. تضعين الحذاء في قدميك وتخرجين إلى الشارع المظلم... وتمشين..

صوت الكلاب تنبح من بعيد.. والبرد.. تضمين معطفك على جسدك المرتجف وتواصلين المسير.. إلى أين؟..

لا تدرين..لكن قدميك تعرفان الطريق..

وتدخلين ذلك الزقاق المظلم المهجور وتقفين هنيهة تنتظرين، ثم تسمعين صوتًا يناديك:

- (ماري)!.

صوتًا هامسًا رقيقًا.. فتنظرين إلى الوراء.. لتجدي (سيلويت) ذلك الرجل

واقفًا عكس النور فلا تبدو لك ملامحه.. يسد طرف الزقاق وفي فمه لفافة تبغ مشتعلة تبدو كجمرة من جهنم..

- لقد انتظرت قرنًا من أجل هذه اللحظة.. ويمد يده في جيبه ليخرج شيئًا ما.. شيئًا أقرب إلى حبل ملفوف..

عندئذ تفهمين حقيقة رقم (٣)..

أنت الثالثة في دائرة الانتقام.. دائرة ألاعيب (هارييت)..

لقد جاء دورك يا صغيرتي.. ومع (جاك السفاح) العائد..

لكنها - أعدك - لن تكون لحظات طويلة!..

* * *



ويمدّ يده في جيبه ليخرج شيئا ما .. شيئا أقرب إلى حبل ملفوف ..

انتهى (لوسيفر) من سرد قصته..
جمع أوراق (التاروت) وراح يعيد خلطها، على حين تنهدت الفتاة في رعب.. وتحسست عنقها كأنما تشعر بحبل (جاك السفاح) عليه ثم تساءلت:

- هل.. هل هذا هو كل شيء؟
- بالفعل..
- وكيف أمنعه؟
- الجواب يكمن في (هارييت)..

نظرت الفتاة إلى الأم.. ثم أعلنتا أنهما راغبتان في الرحيل.. فقد تأخر الوقت كثيراً، فأشار لهما (لوسيفر) بيده إشارة وقور معناها أنهما تستطيعان الانصراف..

- شكرًا لك يا د. (لوسيفر) - قالت مسز (مازورسكي) -: على كل ما قدمته من أجلنا.. أنت أنرت لنا الغد المظلم.. ولقد وثقنا بعلمك. فاستحققنا أن نعرف..

هز الوغد رأسه في تواضع.. لم أر في حياتي تواضعًا هو أقرب إلى الغرور من هذا..، وانتظر حتى نسقت المرأتان ثيابهما وغادرتا الصومعة.. ثم نظر نحونا.. وتساءل:

- بقي اثنان.. أنت يا (كولبي).. و د. (رفعت).. بمن أبدأ؟

قلت له محتجًا:

- نسيت مستر (كلارتون)..

- إنه قد مر بتجربة (التاروت) بالفعل.. وذلك منذ أسبوعين..

- إذن أبدأ بـ (كولبي)..
- ليكن..
وناول الأوراق إلى (كولبي).. وابتسم..
ابتسامة لها ألف معنى..

❋ ❋ ❋

الحكاية الخامسة

(مذءوب!)

بطولة: سام كولبي

(ستطلق مسدسك.. ولكن ماذا تستطيع رصاصة فضية واحدة أن تفعل؟).



الاسم : سام كولبي .

السن : ٥٠ عــامًا .

الإقامة : نيـويـورك.

المهـنة : نصـــاب .

سمات شخصية : أعتقد أننـــا عرفنـــا الكثيـــر عن (كولبي) في القصة السابقة (أســـطورة بو).. ولمن لم يقرأها نقول إنه معدوم البراعة بائس جدًا .. وبرغم أنـــه يهودي فهو لا يملك مالًا يذكر، ولـــم يحرز نجاحًا مهنيًا من أي نوع . وعامة هو رجل بلا خطر .. طيب القلب لكنه لا يبعث الراحة في النفس ، وأنت لا تســـتطيع أن تثق به أكثر من ثقتك بثعبان عجوز لم يعد قادرًا على اللدغ .

الحالة الصحية : لا يحتاج الأمر منك أن تكون إخصائيًا في المســـالك البولية كي تعرف أن (بروستاتا) هذا الرجل تحتاج إلى استئصال عاجل .

بدأ د. (لوسيفر) في تصفح أوراق (تاروت) (كولبي).. ولقد بدا لي غريبًا أن يعكف ساحر على قراءة طالع ساحر آخر..

ثم وجدت الأمر ليس غريبًا إلى هذا الحد.. فلكم ذهبت إلى طبيب عيون أو قلب برغم أنني طبيب أنا الآخر..

لن أحكى لك ما أظهرته الأوراق منعًا للإملال.. فكلانا لا يفهم منها شيئًا.. سأحاول أن أدخل إلى القصة مباشرة...

ظهر رجل عند مدخل الحجرة لم أتبين وجهه جيدًا في الضوء الخافت.. وتساءل:

- د. (لوسيفر).. هل ستظل وقتًا أطول هاهنا؟.. إن الكثيرين قد عادوا إلى

ديارهم وكذا سائق السيارة ينتظر..
ابتسم (لوسيفر) وغمغم:
- كذلك (كولبي) ود. (إسماعيل) ينتظران.. إنني سأبقى هنا فترة أطول يا عزيزي..
نظرت إلى ميناء ساعتي.. إنها الثالثة صباحًا..
شعرت بمعدتي تتقلص جوعًا.. يبدو أنني هضمت ما أكلت من كرفس بسرعة غير متوقعة.. كما أن علبة سجائري صارت فارغة كعقل ضفدع، وأخشى ألا أجد من يبيع تبغًا عند عودتي..
لكني وجدت (هاري) يتابع الكلام في شغف، فقررت أن أنتظر بعض الوقت.. لكن لن أسمح لهذا المعتوه (لوسيفر) أن

يقرأ طالعي.. أنا أعرف طالعي جيدًا: سأعيش بعض الوقت ثم أموت.. وموتى آت لا محالة.. ربما الآن وربما بعد مائة عام.. لا يهم...

وكذا.. جلست القرفصاء أصغي لما يقول د. (لوسيفر) عن (كولبي)..

* * *

يقول الأب (جونز) وهو يرسم علامة الصليب:

- هناك مذءوب في دار (هالبروك).. أنا واثق من هذا.. لكننا بحاجة إلى من يفهم هذه الأمور..

* * *

إن الناس يحبون من ينصب عليهم...
لهذا وحين وقعت الواقعة؛ لم يجد الأب (جونز) من يلجأ إليه سوى (سام كولبي)..
على الأقل هو يعرفه منذ زمن.. وصحيح أن (جونز) - كقس كاثوليكي - لم يكن يحب اليهود البتة، فإنه وجد أن الوقت ليس مناسبًا لمعاداة السامية إذا كان (كولبي) هذا سيقدم الخلاص لمجموعة من الأرواح المعذبة..
وإلى دار (كولبي) ذهب في تلك الليلة بردائه الكهنوتي الأسود الطويل وعلى رأسه قبعة سوداء مما أعطى مظهره كله

صرامة أثارت الرعب في قلب اليهودي النصاب..

وبعد احتساء أقداح الشوكولاتة الساخنة التي لا يشرب (كولبي) سواها.. وبعد ما ذهب (كولبي) ثلاث مرات إلى دورة المياه بسبب البروستاتا كما تعلمون..

بعد كل هذا وجد الأب الوقت ملائمًا كي يفتح الموضوع..

قال وهو يحرك ساقًا ليضعها فوق ساق:

- لك جئت يا (كولبي) لأنني لا أعرف لمن ألجأ..

هز (كولبي) رأسه في تواضع.. وجلس يجفف عرقه:

- على الرحب والسعة..

قال الأب وهو يمسك كوب الشوكولاتة بكلتا راحتيه:

- الأمر يتعلق بقضية.. لنقل إن لها حساسية خاصة بالنسبة لي كرجل كنيسة.. لا أدري ما إذا كنت تفهم قصدي؟.

- استمر أرجوك..

- أنت تعلم أننا نتلقى اعترافات عديدة في مهنتنا ولا يحق لنا الكلام عنها بأي ثمن.. لكنني أجد نفسي مضطراً إلى أخذ رأيك حتى نتمكن من منع جريمة قبل وقوعها الأمر الذي سيمزق ضميري أبد الآبدين..

ثم تقلص وجهه.. بدت تجاعيده في الضوء الخافت كأنما أخاديد في أرض صحراوية لم تعرف المطر دهراً.. وأردف:

- أتراك تعرف شيئًا عن المذءوبين؟

* * *

المذءوب من أقدم الأساطير في تاريخ البشر..، وهي أسطورة الرجل الأدمي الذي يتحول إلى ذئب عندما يكتمل القمر بدراً.. ويعيث في الأرض فسادًا ليلة كاملة، ثم في الصباح يعود إلى طبيعته ويكون من العسير معرفة شخصيته[5]..

ويوصي العالمون بهذه الأمور من يهاجمه مذءوب أن يحرص على إصابته

أو انتزاع مخلب من يده.. عندئذ يمكن في الصباح العثور على صاحب الإصابة أو من فقد إصبعًا من يده.. ويقتل بنصل من فضة..

يقول العلماء إن خرافة المذءوب هي تفسير شعبي لمرض (البورفريا) الناجم عن اختلال تمثيل الحديد في الجسم.. من ثم يكتسب المريض سحنة شاحبة وأنيابًا حادة وأظفارًا طويلة.. ويستطيل شعر حاجبيه ويتجعد جلده، ويهاب نور الشمس..

أي أنه يتحول - حرفيًا - إلى ذئب بشري، لهذا سمى العلماء هذا المرض باسم (مرض الرجل الذئب).

على أن هناك شواهد عدة مريبة على هذه الأسطورة.. لقد وصفها أطباء يونانيون لهم ثقلهم.. ومنهم (مارسيليوس السايدي) من (أركاديا) حين تحدث عما يدعى (لايكا أنثروبي).. أي (حالة التصور الذئبي) حيث يأكل المريض اللحم النيئ ويعوي كلما رأى القمر بدراً..

حتى العلماء العرب شديدو الرصانة كتبوا عن هذا المرض.. ومنهم (ابن سينا) و (الزهراوي)، وقد دعوه بـ (القطرب) بضم القاف والراء.. وهي محاولة لتعريب حروف (لايكا أنثروبي) في صورة قريبة من فهم العقل العربي..

إن (كولبي) لم ير في حياته مذءوبًا.. لكنه لا يرفض وجودهم أبدًا..

* * *

- نعم.. أعرف الكثير عنهم في الواقع..
- إذن قد وجدت ضالتي..
ووضع الأب القدح على المائدة المستديرة.. وقال:
- منذ شهر زارني واحد من آل (هالبروك) في الكنيسة..
أنت تعرف أن المعترف يدخل غرفة مظلمة حتى لا أرى وجهه أو أعرف من هو، في حين أجلس أنا بالخارج أصغي إلى كلماته.. وبهذا لم أعرف قط من هو..
- قلت إنه من آل (هالبروك)..
- نعم.. إن آل (هالبروك) يترددون علي بانتظام للاعتراف.. وأنا أعرفهم من

لهجتهم الإيرلندية الواضحة.. ثم إن كل رجال الأسرة لهم ذات الصوت المميز..، صدقني إنني واثق بأنه من هذه الأسرة..

- وهل هم كثيرون؟

- حوالي أربعة رجال - بما فيهم الأب - وامرأتان.. الأم والابنة.. وهم عائلة منغلقة متدينة..

- أرجو أن تستمر..

- قال لي هذا المعترف: إنه يريد أن أعاونه لأنه بحاجة إلى الخلاص من اللعنة التي تلاحقه.. لقد هاجمه مذءوب منذ يومين في شوارع (نيويورك).. وهو لم يتبين شيئًا من ملامحه سوى أنه كان يرتدي ثياب رجل عادي إلا أن رأسه رأس ذئب..

- إن هذا صعب التصديق.

- ربما.. لكن الرجل بدا لي صادقًا.. قال إن المذءوب جرحه في ذراعه ثم فر عبر الأزقة، وعاد (هالبروك) هذا إلى داره.. وأخفى هذه التجربة المروعة عن ذويه.. زعم لهم أنه جرح في حادث سيارة.. وقام بتضميد الجرح..، المشكلة هي أنه يخشى أن يتحول بدوره إلى مذءوب حين يكتمل القمر بدراً..

- وماذا قلت له؟

- بالطبع قلت له إن كل هذا وهم.. ونصحته بأن يعود إلى داره ويصلي كثيراً.. ولسوف يمر كل شيء على ما يرام...

ابتسم (كولبي) ابتسامته الطفولية الوديعة:

- إذن لقد انتهت المشكلة..

هز القس رأسه في إنهاك وقال:

- بالطبع لا.. ما حدث بعد ذلك هو أنني قرأت في جريدة الأمس أن ابنة (هالبروك) قد لاقت حتفها..، وجدوها في الفناء الخلفي للدار ممزقة تمامًا.. وكان ضياء القمر يغمر المكان، حضر رجال الشرطة وتفحصوا الجثة ثم أعلنوا أن من فعل هذا مجنون حتمًا.. مجنون وله أظفار مخلبية طويلة وأنياب..، أضف إلى هذا أن آثار الأقدام التي شوهدت جوار الجثة هي أقرب إلى آثار أقدام كلب كبير - أو ذئب - إذا أردنا الدقة..

- وحفظ الموضوع..
- بالتأكيد.. لا يوجد دليل على شيء..، لكنني - أنا وأنت - نجد شيئًا مألوفًا في كل هذا..، يبدو لي أن ما قاله ذلك البائس الذي كان يخشى أن يصير مذءوبًا.. يبدو لي على شيء من الصواب.. هناك مذءوب في دار (هالبروك)..
- وما المطلوب مني؟
- أريدك أن تجده.. وتمنحني فرصة تخليص روحه كاملة، فإن كان ذلك فهو خير.. وإلا كان علينا أن نعدمه!
ثم مد يده وصافح (كولبي) في حرارة:
- إنني أعتمد عليك يا سيدي!

* * *

لم يستطع (كولبي) أن يرفض العملية..
ولم يكن هذا عن حب للعمل الإنساني أو مقت للمذءوبين.. كل ما هنالك هو أنه لم يطق أن يقول لا لعرض مغر كهذا .. لقد تصاعد الغرور الشخصي إلى رأسه.. بالإضافة إلى أنه لم يعتد أن يعلن جهله بما يجهل.. دائمًا هو (كولبي) العبقري الذي يفهم في كل شيء ولا يخفى عليه شيء..
ثم هو - وهذا لا ينكر - جائع منذ أسابيع، وبحاجة إلى بعض المال حتى ولو كان هذا المال ملوثًا بالدماء التي تسيل من مخالب المذءوبين..

وهكذا...

قضى يومين يطالع كل ما كتب في مراجع السحر عن (الويروولف) أو (المذءوب) أو (مسخ الذئب) أو (القطرب).. أيا ما كان اسم هذا الداء..

ثم إجماع عام في المراجع كلها على أن الخلاص للمذءوب لا يكون إلا بالموت.. موت بالفضة دائمًا..

وهكذا جلس (كولبى) إلى مكتبه، وشرع يسبك رصاصة من الفضة دسها في مسدسه.. ثم وضع المسدس في جيبه وذهب إلى موعده مع الأب (جونز).

* * *

العقبة الأولى: هـي دخول الدار بشكل طبيعي يسمح بملاحظة أفراد الأسرة..

العقبة الثانية: هـي معرفة المذءوب.. وهـي مهمة عسيرة حقًا.. لأنه سيكون شخصًا عاديًا تمامًا..

وقد رتب له الأب (جونز) الأمر..

ذهب معه إلى دار (هالبروك)، وزعم لرب الأسرة (برنارد هالبروك) المحامي المتقاعد الذي بلغ من الكبر عتيًا.. زعم له أن (كولبي) هو رجل تحر مكلف بالتحقيق في سلسلة جرائم غامضة كلها تماثل ما حدث للفتاة، وأوصاه خيرًا بـ (كولبي) لأن بعض التعاون معه قد يجنب ضحايا آخرين ميتة بشعة..

وأدرك (كولبي) أن القس محبوب في هذه الدار وذو شعبية؛ لأن الحب انعكس عليه هو نفسه في صورة استقبال ودي محبب للنفس.. واستطاع (كولبي) أن يصنف الأسرة..

١ - الأب: المحامي الإيرلندي والشيخ الداهية.

٢ - الأم: عجوز شمطاء حبيسة مقعد متحرك.

٣ - أوسكار: الابن الأكبر - ٢٨ سنة - محاسب.

٤ - كلود: الابن الأوسط - ٢٩ سنة - مدرس.

٥ - جورج: الابن الأصغر - ٢٩ سنة - مدرس.

وكانت الجلسة - التي استغرقت ساعتين - عادية جدًا خالية مما يثير الشبهات، لا شيء يثير الريبة

سوى أن (كلود) يبدو كالذئب في ملامحه الصارمة وعينية الرماديتين الميتتين..، وسوى أن (جورج) يصدر صوتًا غريبًا - كزئير الضواري - حين يلتهم اللحم، وسوى أن (أوسكار) له أظفار أطول من اللازم، وسوى أن الأب يصدر صوتًا كعواء الذئب كلما سعل.

مجرد عائلة بريئة أخرى.. ولا شيء يريب..

* * *

قال د. (لوسيفر):

- وهكذا غادرت الدار يا (كولبي) دون تقدم يذكر..، لكنك لم تنس أن تخبرهم أنك ستعود يوم الرابع عشر من (يوليو) لتواصل التحريات..، وطبعًا لا داعي للقول إن هذا هو اليوم الذي يكتمل فيه القمر بدرًا..

ومط عنقه إلى الأمام وابتسم:

- سيكون هذا بعد أسبوع من الآن.. أليس هذا صحيحًا؟

- بلى.. بلى.. كل ما تقول صواب..

- وهل لديك الآن منهاج عمل معين؟

قال (كولبي) في حماس:

- سأقضي الليل معهم.. الجميع في مكان واحد...

- وإذا تحول أحدهم إلى مذءوب..

- سيتلو الأب (جونز) صلواته.. فإن لم تجد كانت رصاصة من الفضة كافية جدًا..

ضحك د. (لوسيفر) ضحكته الطويلة المقيتة.. ثم قال:

- لن يكون الأمر لعبة أطفال يا (كولبي).. دعني أحك لك ما سيحدث، وكما أراه في أوراق (التاروت)

* * *

ليلة الرابع عشر من (يوليو)..

الليلة يكتمل القمر بدرًا.. ويكشف مذءوب عن نفسه ويلقي ساحر متحمس نهايته.. أو لعله المذءوب الذي سيلقاها؟..

ليلة الرابع عشر من (يوليو)..

هأنتذا يا (كولبي) في قاعة الاستقبال لدى هذه الأسرة اللطيفة.. وقد وضعت المسدس ذا الرصاصة الفضية في جيبك، وحولك يجلس أفراد الأسرة غير فاهمين لما تعتزمه..

يقول الأب في تململ:

- أنا لا أدري لماذا جمعتنا يا مستر (كولبي).. ولماذا تصر على أن نحتشد جميعًا في مكان واحد؟

تقول أنت في ذكاء وأنت ترمقهم:

- صبرًا سيدي.. فهناك أشياء ستتضح بعد قليل..

ثم تنظر إلى الباب في قلق:

- أرجو منك أن توصد الباب وتعطيني المفتاح!

- لحظة!.. لو كنت تظن أن...
- أنا لا أظن شيئًا يا سيدي.. أرجوك أن تطيعني..
- ليكن.. آمل أن تنتهي هذه المهزلة حالًا..
ويأمر الأب ابنه الأكبر أن يذهب فيوصد الباب.. ثم يعود بالمفتاح ليناوله للأب.. وينظر هذا إلى (كولبي) نظرة تقول:
هأنذا أمضي معك إلى نهاية هذا الهراء..
عندئذ تتساءل يا (كولبي) في توتر:
- هل النوافذ موصدة؟
يتنهد الأب في سأم:
- ف ف ف!.. نعم.. هلا أوضحت الآن؟
- ليس بعد.. إنني..

وهنا يثب الابن الأوسط (كلود) متوترًا.. يجيء يمينًا ويسارًا.. كل عضلة في جسده تهتز.. ثم يقول:

- أنا.. أنا بحاجة إلى الخروج..!.. لابد..!

لابد؟..

مرحبًا بك يا صديقي في نادي المذءوبين.. تميل في مقعدك نحوه.. وعلى وجهك ترتسم علامة النصر:

- لماذا تحتاج إلى الخروج يا (كلود)؟

- لأن.. لأنني أريد ذلك!

- ولماذا تريد ذلك؟

- إن لي ارتباطات قـ.. قوية.. أنت لا تفهم..

- بالعكس.. أفهمك تمامًا.

ويجلس الفتى متوترًا تلك الجلسة التي هي إلى الوقوف أقرب.. وتبدأ الشكوك تحتشد في ذهنك.. إن الأب (جونز) لم يأت هذه الليلة، ومعنى هذا أنك حر في التصرف.. مطلق القرار..
ولكن.. عليك الانتظار أكثر حتى تتأكد..

***

وتمر الثواني.. تتجمع في صورة دقائق.. والدقائق تحتشد في شكل ساعات.. ساعة ونصف على وجه التحديد ذهبت فيها إلى الحمام أربع مرات لأنها البروستاتا كما يعلم الجميع..
علامات التوتر تزداد على (كلود).. يئن.. يمسك ذراعه.. ثم إنه يداري وجهه بعض

الوقت.. و... ويسقط أرضًا..
يهرع (أوسكار) نحوه ليرفعه بين ذراعيه القويتين بينما الأم تولول من مقعدها المتحرك..
ينيمه (أوسكار) على الأريكة.. فتسير أنت مسرعًا لترى وجهه ذا العينين المغمضتين.. لا جدال هنالك.. لم يكن وجه (كلود) مشعرًا كهذا من قبل.. لم تكن أسنانه حادة إلى هذا الحد.. ولم تكن له هذه المخالب.. ثمة تحول لاشك فيه يحدث الآن..
تمد يدك إلى جيبك وتخرج المسدس..
- ما هذا الذي تفعله يا أحمق؟
يدوي صوت الأب متسائلًا.. فترد وأنت تتراجع عن الفتى فاقد الوعي دون أن

تبعد فوهة المسدس عنه:

- لا جدال هنالك أيها الأب.. إن ابنك مذءوب.. وهو من مزق جثة ابنتك منذ شهر.. ستتكفل رصاصتي الفضية بإنهاء المأساة بشرط أن تكونوا شهودي على هذا التحول..!

عندئذ تدوي الضحكات..

الجميع يضحك.. الأب حيث وقف جوار المدفأة.. (أوسكار) حيث جلس على الأريكة جوار أخيه.. وحتى الأم على مقعدها المتحرك..

وحين استطاعوا أخيراً أن يتمالكوا أنفسهم، نظروا إلى وجهه المليء بالحنق.. وعادوا يضحكون..



يدوى صوت الأب متسائلا .. فترد وأنت تتراجع عن الفتى فاقد
الوعى دون أن تبعد فوهة المسدس عنه :

- أنا لا أهذي - تقولها غاضبًا - انظروا إلى وجهه لتدركوا مبلغ صدقي!

قال الأب وهو يخرج يده من جيبه:

- هو هو هو!.. أنت صادق يا (كولبي).. هو هو!.. لكنك أبله!

عندئذ ترى مخالبه..، وترى شعر حاجبيه الذي يزداد كثافة..

وترمق الأم حيث جلست على مقعدها فتراها تعض على شفتيها بنابين حادين واللعاب يتساقط من فيها..

أما (أوسكار) و (جورج) فكان الشعر قد غطى وجهيهما تمامًا..

- ألم تفهم بعد يا (كولبي) إننا عائلة من المذءوبين؟.. وأن الداء انتقل إلينا جميعًا من (جورج) الشهر الماضي بعد ما قتل

أخته وجرحنا جميعًا؟.. ألم تفهم بعد أنك وحدك في بيت موصد الأبواب وسط خمسة مذءوبين؟!

ستصرخ يا (كولبي) لكن أحدًا لن يسمعك..

ستطلق مسدسك.. ولكن ماذا تستطيع رصاصة فضية يتيمة أن تفعل؟!...

لقد انتهت مشاكلك مع البروستاتا... إلى الأبد..!

أنهى د. (لوسيفر) قصته المروعة وهو يهتز كاتمًا ضحكة.. ثم إنه أمسك أوراق (التاروت) اللعينة وشرع يطويها وينشرها بين يديه في الضوء الأخضر الكئيب..

كان (كولبي) يرتجف كورقة، ولم يفلح أحدنا في تهدئته.. وأدركت أنه يرى

الموقف الآن بكل تفاصيله الرهيبة..

- كلهم مذءوبون؟

- كلهم!

- دون استثناء؟

- دون استثناء؟

ثم إن (لوسيفر) نظر نحوي.. وداعب القرط في أذنه.. ثم قال لي في لهجة محببة للنفس بصوته الساحر..

- الآن لم يبق سواك أيٍ د.. (رفعت).. ولقد عهدتك لا تصدق حرفًا منذ جلسنا.. كمن يرى البهاء السماوي كاملًا ثم يأبى أن يؤمن..

قلت وأنا أنفث دخان التبغ في وجهه متظاهرًا بالثبات.

- نحن كمسلمين نأبي أن نصدق أن هناك من يعرف الغيب.. والمنجمون يكذبون ولو صدقوا..، إنها مسألة عقيدة إذا أردت رأيي.. وإيماني يعتمد على ألا أؤمن بأشياء كهذه..

- لكنك ستجرب (التاروت)..

- إن هي إلا لحظة وهن بشري.. فضول لا أكثر..

ابتسم وتبادل النظر مع (كلارتون)..

- أنت سمعت وعشت نهايات هؤلاء الجالسين..

- وماذا عن نهايتي؟

- إن الأمر فيما يتعلق بك يا د. (رفعت) لبسيط جدًا.. فأنت كهل وتعيش وحيدًا.. وأنت رجل مثقف تعرف جيدًا كل الأشياء

المرعبة التي قد تحدث لكهل وحيد.. مثلك يا د. (رفعت)!

* * *

الحكاية السادسة

(خطوات في الردهة)

بطولة: د. رفعت إسماعيل

(نظرات خالية من التعبير، لكنها - في ذات الوقت - تقول الكثير جدًا..!)



الاسم : رفعت إسماعيل

السن : ٤٤ عامًا .

المهنة : طبيب بشري

وأستاذ جامعي .

الجنسية : مصري .

الحالة الاجتماعية :

ذئب عجوز متوحد .

الهوايات : بلا هوايات إلا إذا اعتبرنا التدخين هواية ، وحظه العاثر يوقعه دومًا مع مصاصي الدماء والموتى الأحياء والسحرة والمذءوبين . لكنه لم يحب هذا يومًا ولم يسع له . إن حياة (رفعت إسماعيل) لهي سلسلة طويلة لا تنتهي من التورط .

سمات شخصية : أصلع كحوض لأسماك الزينة ، نحيل كالقلم الرصاص ، معتل الصحة كمستعمرة درن كاملة ، يدخن كـ (برلين) حين دخلها الحلفاء.

ناولني د. (لوسيفر) أوراق (التاروت) كي أخلطها..
شعرت بقشعريرة حين لامست أناملي أنامله الباردة الصلبة..
الأوراق نفسها كانت ناعمة الملمس كالأفعى (أنا لم ألمس أفعى في حياتي لكن لابد أنها كذلك).. تفوح برائحة لا سبيل لوصفها هي مزاج من التوابل والقدم والعطور الشرقية..
بدأت أركز ذهني - مخلصًا - في أي شيء.. لكن سدى..
ظل تفكيري مبعثرًا فوق رمال الاهتمامات البشرية..، وخطر لي للحظة أن هذا سيؤدي إلى فساد التجربة ثم

تذكرت أن التجربة فاسدة من الأصل، ولن تنجح بأي منطق..
وفرغت من تقليب الأوراق فأعدتها له..
بدأ الرجل يفرز الأوراق على المائدة في تؤدة:
ورقة الموت الكئيبة أولًا..!..
نظر لي في تهكم لحظة.. ثم غمغم:
- قصتك تبدأ بالموت. فكيف تنتهي؟.. أعتقد أنك من أصحاب الباع الطويل في النحس يا صديقي!
- هذا ليس جديدًا على..
وشرع يتأمل باقي الأوراق..
ورقة المحاكمة.. ثم ورقة القمر.. ثم ورقة المشنوق...
قلت له متهكمًا:

- يبدو لي أنني سأقتل رجلًا ما حين يكتمل القمر.. وتتم محاكمتي وأعدم شنقًا!

- صه!

قالها لي في حزم.. وقد بدا لي كأنما يركز تفكيره بعنف.. ثم أردف:

- حسب التفسير السيكولوجي لهذه الأوراق.. أنت مضطر للتضحية ليعود ميلاد نفسك.. يجب أن تسمو بذاتك فوق الوجود المادي..

- هذا كلام عائم بلا رأس ولا ذيل..

- صبرًا.. إن السحر هو التفسير الوحيد الذي أركن إليه هنا..

وشرع يحكي لي ما يرى..

* * *

- أنا مشرفًا على رحلة طلابية؟!

هكذا هتف د. (رفعت) وهو يقرأ اسمه الذي أرسلته له رعاية الشباب بالكلية مطالبة إياه بأن يكون مسئولًا عن رحلة طلابية إلى القناطر الخيرية..

شرع الرجل يولول ويصرخ.. فهو آخر من يصلح لهذه المهمة السقيمة بين كل أساتذة الكلية..

لكن هؤلاء القوم كانوا مصرين كالكابوس.. وقالوا له كلامًا لا أول له ولا آخر عن علاقة الطالب بالأستاذ، وعن الأبوة، وعن الدور الريادي للأساتذة.. و....

وهكذا وجد العجوز (رفعت إسماعيل) نفسه جالسًا في مقعد خلفي من الحافلة يصغي لهرج الطلبة ومرجهم، وقرع الطبول وتصفيق الأكف..

وتلك الأغاني السخيفة المبتذلة التي يرددها كل الطلاب في كل الرحلات منذ كان هو نفسه طالبًا..

الصبر يا د. (رفعت)!.. الصبر!..

ظل يردد هذا في سره وهو يمضغ لفافة تبغه العاشرة ويتسلى بقراءة صفحة الوفيات في الجريدة..

كان يرجو أن يتركوه وشأنه لكنهم لم يرحموه.. أقحموه في عشرات الألعاب السخيفة الجماعية على غرار (كيلو بامية) وسواها.. وكان عليه أن يبتسم

على الرغم منه بينما هؤلاء الفتيان والفتيات المفعمون بحب الحياة إلى حد المرض يهتزون حوله مرددين الأغاني والدعابات..

بالنسبة لـ (رفعت) كان واجبه أمام نفسه يتلخص في أن يمنع طالبًا من أن ينتحر أو طالبة من أن تدهمها سيارة.. لكن المرح شيء اختياري لا يمكن إرغامك عليه بقرار حكومي..

* * *

وفي القناطر الخيرية واصل هؤلاء المهرجون عبثهم.

وفي ظل شجرة وارفة جلس د. (رفعت) يدخن ويرمق المهزلة البشرية الجارية

أمامه..
ثم إنه من يده إلى جعبته فأخرج الكاميرا العاكسة التي كان قد اشتراها من (انجلترا) منذ عشرة أعوام.
لم يكن (رفعت إسماعيل) من هواة التصوير.. لكنه أحس بحاجته إلى استعمال الكاميرا قبل أن تتلف من طول إهمالها..
راح يتنقل هنا وهناك يختار كادرات متوازنة تعكس جمال الطبيعة، وإبداع خالقها.. لكنه - كلما ذهب إلى مكان - وجد الكادر يمتلئ بعشرات الأوغاد الذين لا تدري من أين يأتون. كلهم يبتسمون وقد كونوا الصفين الشهيرين: الصف الجالس على ركبتيه.. والصف الواقف

خلفه، ولا بأس بواحد أو اثنين من الصف الخلفي يمدون إصبعين ليرسموا قرونًا فوق رءوس الغافلين في الصف الأول!.. والكل يرسم على وجهه بسمة بلهاء..

عليكم اللعنة جميعًا..!

كان د. (رفعت) يعرف الموجودين جميعًا، إن لم يكن بالاسم فعلى الأقل بالوجه.

لهذا أثار انتباهه شابان يقفان بمعزل عن الآخرين.. أحدهما شاب وسيم متأنق يعاني من ظاهرة (الألبينو) التي يسميها العامة بـ (عدو الشمس).. فهو أحمر اللون أبيض شعر الرأس والحاجبين والأهداب.. وعيناه رماديتان محمرتان..، والآخر كان فتاة بارعة الجمال ترتدي منظارًا أسود..

وكلا الشابين كان يمسك بكف صاحبه، وبدا أنهما ينأيان عن الجمع ولا يكفان عن تبادل الهمسات، أو الجلوس متقاربي الرأس في ظل إحدى الأشجار.. إنه الحب إذن..

مال (رفعت) على أذن أحد الطلبة سائلًا عنهما.. فهو لم يرهما من قبل وبالتأكيد لم يدرس لهما قط.. فأجابه الطالب:

- إنهما (عادل) و (هالة).. زوجان شابان من السنة الثالثة.. منعزلان تمامًا ولا يختلطان بأحد.. مهذبان..

- لم أرهما قط..

- جاءا من الإسكندرية هذا الشهر فقط.. وهما يثيران التساؤل دائمًا لكن أحدًا لم يستطع معرفة ما هو أكثر..

نظر د. (رفعت) إلى الزوجين الشابين حيث وقفا يتأملان بعض الزهور.. لم يستطع أن يخفي حسده لهما.. كلاهما شاب وسيم ويحب الآخر.. هذه هي السن التي يمكن للمرء فيها أن يستمتع بالحب ويتوحد بالطبيعة..، هو أيضًا كان تواقًا إلى الحب في هذه السن.. لكنه كان عاجزًا عنه.. مجرد طالب ريفي خجول عاكف على الدراسة.. وعلى تدبير حياته بالملاليم التي ترسلها له أمه من القرية.. وها هو ذا - بعد كل هذه الأعوام - عاجز عن الحب لأن القطار قد ولي بعيدًا..، حينما كان قادرًا على الحب لم يكن يملك.. وحينما ملك لم يعد قادرًا على الحب.

المهم.. رأى أن من واجبه نحو (عصفوري الحب) هذين أن يلتقط لهما بعض الصور خفية.. بشرط أن تبدو كأنها جاءت بالصدفة..

اتجه نحوهما وصوب الكاميرا..

وهنا حدث شيء غريب.. رآهما يفران من أمام العدسة كأنما هي فوهة بندقية مصوبة نحوهما..

غريب!.. لماذا يتصرفان هكذا؟.. وبدأ القلق يزحف إلى قلبه...

هل هما حقاً متزوجان؟.. ربما يزعمان هذا كي يظفرا بحرية أكثر، وعندئذ لن يرحبا بصورة فوتوغرافية تسجل علاقتهما..

ثم إنه استبعد هذا الاحتمال..

يخفيان علاقتهما عن من إذا ما كانا - بالفعل - يشهدان عليها مائة طالب وأستاذهم؟!..

هل هما متدينان من النوع الذي يؤكد تحريم التصوير؟.. لا يبدو عليهما أي نوع من التدين العادي أو المتطرف..

حاول مرة أخرى.. فمرات.. أن يلتقط صورة تضمهما..

لكن النتيجة واحدة في كل مرة.. أيقن (رفعت) أن هناك سراً ما..

وفي المرة الأخيرة - بدافع العناد - اختبأ خلف كتف أحد الفتيان الواقفين أمامه.. والتقط صورة للشابين..

ولم يفته - عبر (محدد الرؤية) - أن يدرك أن الفتاة أدارت وجهها نحوه.. ورأته من

خلف منظارها الأسود.. لكن بعد فوات الأوان.. ورآها تجذب ذراع زوجها لتلفت نظره..

انتهى اليوم وبدأت رحلة العودة في الحافلة..

وفي المقعد الخلفي جلس د. (رفعت) يوزع الابتسامات متظاهراً بالسرور بينما الضوضاء تصم أذنيه. إن هؤلاء الحمقى يعتقدون أن السبيل الأوحد للتعبير عن الحياة هو الصخب.. لو أن (ديكارت) هنا لغير مقولته الشهيرة إلى (أنا أصرخ إذن أنا موجود).

ولم يفت د. (رفعت) أن يلاحظ أن الفتى عدو الشمس لم يكف عن اختلاس النظر إليه..

نظرات طويلة خالية من التعبير..
لكنها - في ذات الوقت - تقول الكثير جدًا..

* * *

إلى هنا انتهى د. (لوسيفر) من كلامه..
ونظر لي ليسألني سؤاله التقليدي:
- هل ثمة خطأ فيما قلته؟
لم أستطع أن أرد..
إن الحقيقة المروعة هنا.. الحقيقة التي لم أستطع أن أفندها هي أن كل ما قاله صائب.
أنا قمت بهذه الرحلة فعلًا قبل قدومي إلى (الولايات المتحدة) بأسبوعين.. وكل ما ذكره صواب بلا أدنى تحريف..

كنت آمل أن يكشف لي عن زيفه.. إذ إنني أنا الوحيد الذي يستحيل أن يعرف عنه أي شيء..

في حالة مسز (مازورسكي) و (ماري) كان الرجل قادرًا على معرفة قصتهما من د. (هندريكس) خاصة وهذا الأخير هو من أوصاهما باستشارة د. (لوسيفر)..

في حالة (كولبي) لا توجد مشكلة.. فهذا الأبله لا يحسن الاحتفاظ بسر وقتًا أطول من الوقت الذي تمتلئ فيه مثانته..

في حالة (هاري) ظننت أنه ثرثر بشيء ما للشقراء التي كان معها وهي نقلت فحوى الحديث إلى د. (لوسيفر)..

وفي حالة (جون ميلز).. من يدري؟.. لربما كان هو نفسه متعاونًا مع (لوسيفر)

كما يحدث كثيراً مع وسطاء قارئي الأفكار..
أما أنا.. فالحق أقول إنني لا أملك أدنى فكرة..
ابتلعت ريقي وبصوت غريب قلت:
- أرجو أن تستمر..!

* * *

قال د. (لوسيفر):
- أنت لم تحمض الفيلم بعد يا د. (رفعت).. أرسلته إلى المعمل ثم نسيت كعادتك كل شيء عنه..
لكنك ستتذكر أمره حين تعود إلى (القاهرة).. وستذهب لاستلام الصور.. وعندئذ ستجد ما يثير قلقك.

لن تجد هذين الشابين في الصورة التي التقطتها لهما...

ستجد الخلفية والمشهد الطبيعي وحتى كتف الفتى الذي احتميت به.. لكنك فيما عدا ذلك لن تجد شيئًا..

إلى البيت ستعود حائرًا يا د. (رفعت) عاجزًا عن الفهم..

ما معنى ذلك؟..

معناه - بكل بساطة - أن هذين الشابين من مادة مغايرة لنا.. مادة لا تعكس الضوء..

أنت تعرف من قراءاتك أن هذا هو شأن الأشباح والأطياف ومصاصي الدماء.. فهل ينطبق شيء من هذا على هذين؟..

إن أحدًا من طلابك لا يعرف من أين جاءا ولا أين يذهبان بعد ساعات الدراسة.. إذن يحتمل الأمر أي شيء.. إنهما يذهبان إلى مجرة أخرى أو تحت الأرض أو إلى تابوت خشبي.. لا فارق.. المهم أنهما كائنان مخيفان..

الأسوأ هنا هو ما تلاحظه من آثار عبث في شقتك..

هناك من دخل الشقة في أثناء سفرك.. لم يسرق شيئًا (وأنت لا تملك ما يسرق).. لكنه بحث بعناية وصبر.. عن ماذا؟..

الأمر واضح ولا يحتاج بحثًا.....

❋ ❋ ❋

وفي المساء تحكم إغلاق الشقة عليك.. ثم تدخل فراشك..

وبرغم مئات الخواطر القلقة يتسرب النعاس إلى عينيك ببطء.. ببطء.. وتنام...

إلى متى؟.. لا أحد يعرف... لكنك تصحو في قلب الليل على صوت خطوات في الردهة..

تهرع - حافي القدمين - إلى باب الغرفة، وتصيخ السمع.. نعم.. لا جدال في أن هناك من يمشي في الردهة..

تفتح الباب بعد أن تخرج مسدسك من تحت الحشية.. وبحركة مسرحية تمد يدك إلى مفتاح النور..

وتضيئه فلا تجد أحدًا.. تسمع صوت الخطوات يبتعد متجهًا إلى غرفة المكتب.

فتهرع إلى هناك.. وتمد يدك إلى زر الإضاءة..
وهنا تراهما...
لقد تبدلا كثيراً والحق يقال..
لم يعد شيء في وجهيهما يمت لوجوه البشر.. بل هما كتلتان هلاميتان تسيلان باستمرار ويقطر منهما سائل أخضر لزج إلى البساط..
أما يداهما فقد. تحولتا إلى نوع من المجسات كأيدي الأخطبوط.. لكنهما كانا يرتديان ثياب الذكر والأنثى..
وترى الذكر فيهما يقف وراء المكتب المفتوح منهمكًا في تقليب الأوراق.. أما الأنثى فتقف جوار خزانة الكتب تفرزها وتلقى كتابًا تلو الآخر على البساط..

- معذرة على تطفلنا يا د. (رفعت).. ومعذرة على أننا لم نكلف نفسينا بالتحول إلى صورتكم!



لم يعد شيء في وجهيهما يمت لوجوه البشر .. بل هما كتلتان هلاميتان ..

كذا يدوي صوت الذكر وهو جالس على المكتب لا يتحرك.. ثم يردف وهو يمسك مجموعة الصور بين يديه الرخوتين:

- أنت تفهم أننا لا نرغب بتاتًا في أن يرى هذه الصورة أحد..! فالفيلم عاجز تمامًا عن تسجين انعكاس أجسادنا..

- مـ.. من أنتما؟

- إنه لسؤال عسير.. لكنك تستطيع القول إننا مخلوقات قادمة من أعماق الأرض.. ونحن مكلفان بتعرفكم ودراسة أحوالكم ومدى استجابتكم لاحتمال الغزو!

- هل.. هل تمزح؟

- إن ملامح وجهي تؤكد لك أنني لا أمزح.. أرجو أن تترك هنا السلاح جانبًا

فهو عديم النفع مع الكتل البروتوبلازمية من أمثالنا..

ثم ينهض متجها نحوك:

- كنا نحاول أن نتأقلم معكم لكن فضولك جعلك تتسرع.. حاولنا العثور على هذه الصور مراراً في أثناء سفرك لكن سدى.. والآن وقد تخلصنا من الصور..

يقولها وهو يحاصرك ما بين الجدار وبين زوجته:

- حان الوقت للتخلص ممن رأى هذه الصور..!

....

* * *

انتهى د. (لوسيفر) من الكلام فشرع يجمع أوراق (التاروت) ويدسها في علبة لامعة أنيقة..

ثم نظر لي بعينيه الحادتين النفاذتين:

- هل هناك أسئلة؟

قلت محاولًا تمالك أعصابي:

- حسبتك ستقدم لي نبوءة منطقية..لكنك قدمت لي قصة من قصص الخيال العلمي من طراز (إنهم بيننا)..

- أنت عائد إلى (مصر).. ولسوف ترى ما إذا كان د. (لوسيفر) نصابًا آخر أم عبقريًا..

قال (كلارتون) وهو ينهض على قدميه بصعوبة:

- والآن يا سادة.. إذا لم يكن لديكم مانع.. إن د. (لوسيفر) منهك وبحاجة إلى قسط من راحة..

نهض (هاري) و (ميلز) و (كولبي) أما أنا فظللت أرمق (لوسيفر) في ثبات بعض الوقت.. ثم غمغمت وأنا أقابل نظرته الحادة بمثلها:

- إن لي سؤالا أخيرًا يا د. (لوسيفر)..

- أي شيء..

- من أنت؟

نظر لي في صمت بعض الوقت.. ابتسامة خفية تلاعبت على ركن فمه الأيسر.. ثم نهض دون كلمة أخرى مغادرًا المكان مع (كولبي) و (كلارتون)..

* * *

ارتديت حذائي وتأبطت ذراع (هاري) لأتمكن من المشي.. ثم غادرنا الصومعة إلى قاعة الاحتفالات الهائلة بالخارج، التي خوت على عروشها تمامًا، فلم يعد بها سوى اثنين أو ثلاثة من السكارى.. وأطفئت أكثر الأضواء.. وسادت الفوضى المكان من أطباق فارغة متسخة وزجاجات مبعثرة وأعقاب سجائر.. بينما الخدم يعملون جاهدين على تنظيف كل هذا..

إنها الساعات الأولى من فجر يوم جديد...

* * *

خاتمة الحلقة

(لأنه رجل لطيف طيب.. ولا أحد ينكر ذلك!)

مرت أيام علي أنا و (هاري) لا نتحدث عن شيء سوى ما كان في تلكم الأمسية الطويلة الشبيهة بكابوس..

بصعوبة كنا نصدق أن كل هذا كان حقيقيًا، وأننا حقًا كنا هناك مع هذا الرجل غريب الأطوار.. وسط هذا الحفل الشاذ..

وفي الصحف قرأنا خبر سفر د. (لوسيفر) العالم المجري الشهير في شئون ما وراء الطبيعة عائدًا إلى وطنه..

عندئذ فقط استطعنا أن نصدق أن كل هذا مر بنا..

❋ ❋ ❋

جلست و (هاري) في ذلك الصباح المشمس نتحدث عن نبوءات د. (لوسيفر) الست لمن كانوا معه..

قلت لـ (هاري) وأنا أشعل لفافة تبغ وأريح ساقي على مقعد آخر في الحديقة:

- مهما قلت لي.. أنا لا أؤمن بقدرة مخلوق على معرفة الغيب.. هذا الرجل كان يهذي بما لا يعلم..

- كان دقيقًا في شرح كل ما يدور بخلدنا.. أنت تذكر هذا..

اعتدلت في جلستي.. وقلت:

- أعترف أن هذا صحيح.. لست واثقًا من أنكم لم تثرثروا فيما يتعلق بكم، لكنني واثق من أنني لم أفتح فمي..، في بلدي

يوجد عدد من الدجالين الذين يزعمون قدرتهم على الاتصال بعالم الغيب.. وأكثر هؤلاء يعتمدون على اللحظات التي يثرثر فيها (الزبائن) قبل أن يدخلوا لهم..، ثم هم يعتمدون على الفراسة والحدس الشخصي إلى حد كبير.. إن دخول امرأة يعني في الغالب أنها تشكو من العقم.. ودخول فتاة قبيحة متقدمة في العمر يعني أنها تشكو من قلة الخطاب..

ابتسم (هاري) في تهكم:

- لا أحسب هذا يسري هنا.. فلا شيء في ملامحي يوحي بأنني فقدت دمية (فودو).. ولا شيء في ملامحك يوحي بأنك قمت بتصوير شابين غريبين..

ثم أضاف وهو يتخلل بأنامله شعره الأشقر:

- هل خضعنا جميعًا لتنويم مغناطيسي أمكنه معه أن ينتزع أسرارنا من الصدور؟..

- لا أظن.. ليس التنويم المغناطيسي الجماعي سهلًا إلى هذا الحد..

- ربما هو شيء دسه لنا في القهوة؟

- حتمًا لا.. أنا لم أحتس قهوته.. وكذلك (كولبي)..

ثم أضفت وأنا أرمي عقب السيجارة بعيدًا:

- حتى لو عرف بصيصًا من الحقيقة فهو غير قادر على صنع هذا المزيج المحكم من التفاصيل.. (مارشا) وابنها..

مسز (مازورسكي) وسيارتها الصغيرة وعاداتها في شرب اللبن.. تفاصيل رحلة يقوم بها طلبة طب مصريون إلى القناطر.. مستحيل أن يلفق كل هذا وإلا كانت هناك أخطاء فاضحة..

- إذن ما رأيك؟

نظرت إلى وجهه.. وقطبت حاجبي:

- رأيي أن هذا الـ (لوسيفر) يقرأ الأفكار حقًا..

* * *

أما عن الجانب التنبؤي من عمله.. فلا أدري..

لقد كانت كل حكاية من حكاياته تنقسم إلى جزأين: ما حدث وما سيحدث..

الجزء الأول: ينتهي دائمًا بجلسة قراءة الطالع هذه.

والجزء الثاني: يبدأ بها..

الجزء الأول: صادق ودقيق ولا تفسير له سوى قراءة الأفكار..

الجزء الثاني: لا يمكن معرفة دقته.. لكنه كان ينتهى دومًا بنصيحة.. والآن تعال نجر إحصائية لما تنبأ به الرجل:

١ - قصة مسز (مازورسكي): تنبأ لها بالموت على يدي ابنتها مصاصة الدماء.. ونصيحته واضحة: يجب أن تقتل ابنتها قبل أن تقتلها.. أو على الأقل ترسل في طلب ابنيها ليكونا معها..

٢ - قصة (جون ميلز): القصة الوحيدة التي لم تنته بالموت. إنه ينصح الرجل

بالإقدام على التجربة.
٣ - قصة (ماري جوليم): تلقى (ماري) حتفها على يد (جاك السفاح) الذي عادت روحه تعيث فسادًا في عالمنا.. النصيحة هنا هي حرق (هارييت) التي يوحي كل شيء بأنها ساحرة.
٤ - قصة (كولبي): يموت على أيدي أسرة من المذءوبين الإيرلنديين.. وعلى (كولبي) أن يتحاشى اللقاء يوم ١٤ يوليو أو يتسلح بعدد أكبر من الطلقات الفضية.
٥ - قصة (هاري): في هذه القصة لا يموت (هاري) بل زوجته الحبيبة - وهذا أسوأ - وعليه أن يسترد دمية (الفودو) قبل فوات الأوان من الأم (مارشا).

٦ - قصتي أنا: ألقى حتفي بيد غريبين من أعماق الأرض.. ولا أدري كيف أتحاشى هذا أو أنجو منه.

ست قصص وخمسة موتى بأبشع الأساليب وأغربها.. كأن أحدًا لا يمكن أن يموت في حادث سيارة أو بنوبة قلبية.

وإنني لأسائل نفسي..

* * *

بعد أسبوع بدأت أشياء كثيرة تتضح..

الحادث الأول هو حادث غريب تحدثت عنه الصحف النيويوركية بالتفصيل:

امرأة عجوز تعيش مع ابنتها وحيدتين في الدار، قامت هذه المرأة بقتل ابنتها الشابة مستعملة وتدًا خشبيًا (لأنها

مصاص دماء) على حد قولها.. وقد أسلمت نفسها للشرطة فور الانتهاء من عملها المقيت هذا.

أثبتت تحريات الشرطة أن الفتاة كانت مدمنة مخدرات، وقد أصابها ذلك الداء الزنيم من صديقاتها. لقد كانت تخبئ مخزون المخدرات في مكان ما بقرب البيت.

هكذا..

على ضوء هذا الخبر يمكننا تفسير تصرفات (لويز) المريبة كلها.. شحوبها.. خروجها الليلي الغامض.. وحتى أثر العضة في معصمها.. إنها أسنانها هي بينما كانت الحاجة للمخدر تمزقها!..

الخبر الثاني هو: مصرع مدير شركة في أحد أزقة (نيويورك) برصاصة في رأسه.. كان الاعتقاد السائد هو أن عصابة ما قد قتلته ورمت جثته هناك، لكن الطب الشرعي أكد من احتراق الجلد واتجاه الطلقة أن الحادث كان انتحاراً.. كذلك أثبت اختبار (المولاج) أن آثار النترات موجودة على أصابع الجثة مما يؤكد أن مصرعها هو انتحار، وبالتالي لا يستحق المتوفي قيمة بوليصة التأمين على حياته والتي كان سيحصل عليها لو مات بطريقة طبيعية.

الخبر الثالث هو: محاولة فتاة شابة إحراق صديقتها إذ أوثقتها وقامت بسكب البنزين فوقها.. وكانت على وشك

إشعال عود ثقاب حين استغاثت الضحية بالجيران. قالت المتهمة إنها تتهم صديقته بالتسبب في مصرع صديقة ثالثة لهما. ومن المعروف أن هذه الصديقة الثالثة قد هاجمها مختل نفسي في أحد الأزقة وخنقها بحبل.

الخبر الرابع: محاولة مشعوذ أن يغتال أفراد أسرة إيرلندية زاعمًا أن هناك مسخًا ذئبًا بين أفرادها.. بل إنه كان يعتقد أن الأسرة كلها مسوخ ذئاب وأعد لهم مسدسًا محشوًا برصاص فضي..، ويبدو أن هناك رجل دين أقنعه بهذا..

النتيجة: تم عرض المشعوذ على الطبيب النفسي..

*   *   *

قلت لـ (هاري) شاعرًا بالزهو:

- هل رأيت؟.. كل تنبؤات (لوسيفر) كانت زائفة.

هز رأسه في حيرة وقال:

- بالفعل.. كلها أوهام بلا أساس..

- لقد أجاد هذا الرجل زرع الشكوك في نفوسنا.. الشكوك التي لا سبيل إلى دحضها.. وغدا كل واحد منا على استعداد لعمل أي شيء كي ينجو.. وها هي ذي النتيجة:

مسز (مازورسكي) قتلت ابنتها المدمنة بدلًا من أن تعالجها.. إن سلوك مدمن المخدرات لمريب، ويمكن الإيحاء بسهولة

لضعاف الشخصية أن مدمن المخدرات قد أصيب بمس شيطاني..، نفس الشيء حدث مع (ماري) التي حاولت أن تحرق (هارييت) على أساس أنها ساحرة.. لم تكن (هارييت) سوى فتاة عابثة ماجنة.. ربما هي من حرض (لويز) على الإدمان.. لكنها لم تكن ساحرة..، أما مستر (ميلز) البائس ذو طبيعة المقامرين.. فكان من السهل إقناعه بالتمادي في لعبة هي الانتحار بعينه.. وقامر المسكين مقامرته الأخيرة وخسر.. وتخلص الشيطان (كلايد) من جثته.. وها هو ذا (ميلز) قد خسر حياته ومبلغ التأمين.. وظفر بالجحيم الأبدي..، أما عن (كولبي) فمن حسن الحظ أنهم أوقفوا

هذا المعتوه قبل أن يسبب مذبحة.. وماذا عنك يا (هاري)؟

تحاشى نظرتي.. وغمغم:

- مهما كان.. سأسترد هذه الدمية!

- هذا من حقك لو أنها كانت عند (جابرييل) حقًا.. لكني أنصحك ألا تتهور - وأنت كذلك - في محاولة الحصول عليها..

ضيق (هاري) عينيه.. وتساءل:

- ولكن لماذا حاول (لوسيفر) دفعنا جميعًا إلى الهلاك؟..

قلت في ثقة وأنا أحك رأسي:

- لأنه - كما يقول اسمه - شيطان!

❋ ❋ ❋

نعم.. كان (لوسيفر) شيطانًا..
شيطانًا يتسلى بتحريض الأبرياء على الشر.. وإثارة الهلع في نفوسهم من أبنائهم... من أصدقائهم..
يدفعهم إلى إلقاء أنفسهم إلى التهلكة..
لقد بذر بذور الشر في نفوسنا.. ثم رحل تاركًا لها أن تورق وتغدو أشجارًا سامقة ترتوي بالدماء والكراهية.
نعم.. كان (لوسيفر) شيطانًا.
ودليلي على هذا هو رد سفارة (المجر) على ما نشر بالجريدة، من أنها لا تعرف مواطنًا لها يدعى (فرانتز لوسيفر)..
إذن فمن أين جاء هذا الرجل؟..
قالوا إنه سوفييتي فار من وراء الستار الحديدي.. وقالوا إنه من (أمريكا

اللاتينية)..
لكنني لا أرى داعيًا لكثرة التساؤل.. ولا تخبط الآراء..
لقد جاء هذا الرجل من سقر..

* * *

وهكذا تنتهي حكايات (التاروت).. أو حلقة الرعب الثانية..
تسألونني عما حدث لي أنا بصدد نبوءتي..
طبعًا لن أعرف شيئًا حتى أعود إلى (مصر) وأقوم باستلام الصور الفوتوغرافية إياها..
وإن كنت أتوقع بالفعل شيئًا غير مألوف بصددها..

ستكون هذه هي الأسطورة القادمة..،

أما عن حلقة الرعب الثالثة فلكم أحكيها بعد عشر قصص أخرى كما تعودنا..

قد ألمح لكم بجزء منها الآن..

ولكن هذه حلقة أخرى..

د. رفعت إسماعيل
القاهرة

[تمت بحمد الله]

رقم
الإيداع:
١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة
٨ و ١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايـــات تحبس الأنفـــاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

حكايات التاروت

عـدد من الـغـربـاء .. وأوراق لـعـب .. وسـاحـر غريب الأطوار .. من صـنـعـهـا ؟! .. من لـعـب بـهـا أول مـرة ؟! لا أحد يدري.. لكن هذه الأوراق ستـحـدد مصـائرهم .. وسـتـكـون هذه المصـائر شنيـعـة .. شنيـعـة إلـى حـدّ لا يُوصف!!



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة عدو الـشمس

الشمن في مصـر
وما يعادله بالدولار الامريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ – ٢٨٢٥٥٥٤ – ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

Notes

[←1]

(اسمعوا وعوا) هكذا كان المنادون في الأسواق يجمعون القوم.

[←2] بالفعل صدر هذا الكتاب بعد عامين.. وبعده بعامين أخرين صدر كتاب الإنجليزي (ألفريد دوجلاس).

[←3]

هذا الأسلوب من أقدم الأساليب للسحر في التاريخ، ولسوف نقرأ عنه أكثر حين نطالع (أسطورة الطوطم) [د. رفعت إسماعيل].

[←4]
بسبب هذا الكتاب الأحمق أعدمت محاكم التفتيش نساء بريئات كثيرات.

[←5]

تحدثنا بشيء من التفصيل عن هذه الأسطورة في (أسطورة الرجل الذئب).